الجمـــهورية الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
Faculté des lettres et langues
Département de la langue et littérature arabe

وزارة التعليم العـالي والبحـث العـلمي
جامعـــة 8 مـاي 1945 قالمـــــة
كليـــــة الآداب واللّغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم: .....

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستـر

تخصص: أدب جزائـري

الأنا والآخر في رواية "تلك المَحَبَّة"

لـ "الحبيب السّائح"

مُقَدَّمَة من قبل:
الطالب (ة): **أماني مشّيد**
الطالب (ة): **ملاك بن الشّيخ**

تاريخ المناقشة: 18 / 06 / 2023

أمام اللّجنة المشكَّلةَ من:

الاسم واللقب	الرتبـة	مؤسسة الانتماء	الصفة
وردة حلاسي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
أحلام عثامنيّة	أستاذة محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
سهام بوذروعة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السّنة الجامعيّة: 2022/ 2023

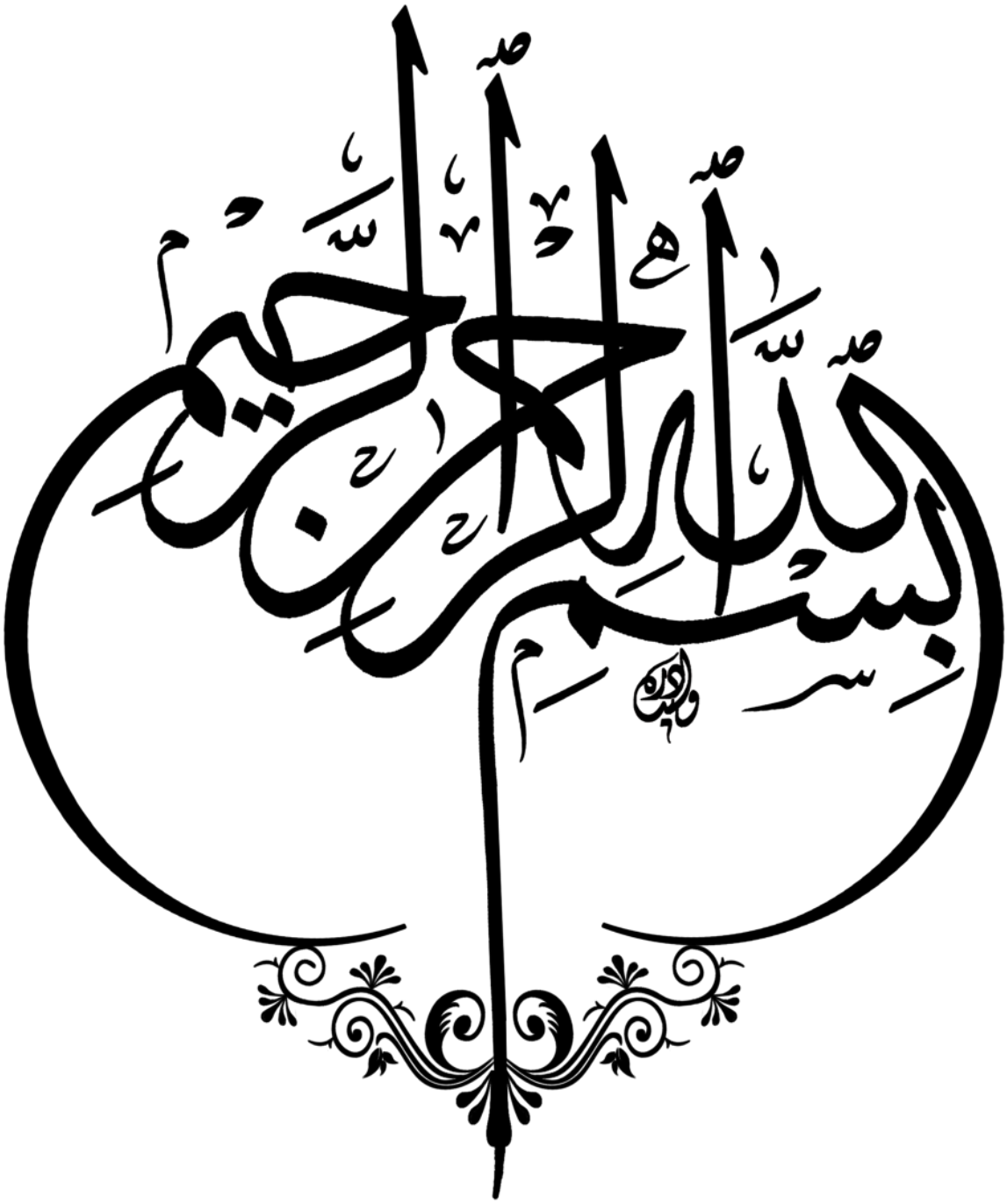
بسم الله الرحمن الرحيم

شُكرٌ وتقدير

قبل كلّ شيء نحمد الله ونشكره على جزيل فضله ونعمته، فهو الذي وفّقنا لإتمام هذا العمل.

نتقدّم بأسمى عبارات الشّكر والامتنان والتّقدير إلى أستاذتنا الجميلة شكلا ومضمونا، الدّكتورة "أحلام عثامنية" شاكرين لها إشرافها علينا، وعلى جهودها وتوجيهاتها ونصائحها التي لم تبخل بها قط.

نتوجّه كذلك بالشّكر إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، ومهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة. إلى من زرعوا التّفاؤل في دربنا وقدّموا لنا الأفكار والمعلومات. إلى دكاترة قسم "اللغة والأدب العربي". ونخصّ بالذّكر الدّكتور الرّائع "عمّار بعداش" ألف تحيّة وشكر مليئين بالتّقدير، والاحترام على المعلومات القَيِّمَة التي ظلّت راسخة في أذهاننا والتي استفدنا منها كثيرا في انجاز مذكّرتنا.

ونتوجه بالشّكر أيضا إلى كلّ من ساعدنا ولو بكلمة طيّبة أو دعاء خالص.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مقدّمة

يعدُّ الأدب ترجمة للتّطوّر الفكري والزّمني؛ إذ يساهم في بلورة واقع جديد يختلف عمّا عرفته الحضارات السّالفة والأمم السّابقة عبر التّاريخ، وعلى ضوء ذلك ظهر الأدب الجزائري ليرصد مختلف مظاهر المجتمع وتحوّلاته الاجتماعيّة والفكريّة ...إلخ، وليَشُقَّ طريقه نحو الأفضل إذ انبثقت منه دراسات متنوّعة في مختلف الأجناس الأدبيّة. من شعر، وقصّة...، ونخصّ بالذِّكْر جنس الرّواية؛ والتي باتت من أكثر الأجناس تعبيرا عن الواقع وأكثرها استيعابا لقضايا المجتمع، إذْ أصبح الإنسان اليوم يعيش في عالم تتجاذبه الصّراعات بين الأمم والشعوب؛ نتيجة للاحتكاك الدّائم بين قطبين رئيسين هما "الأنا" و"الآخر".

تعدّ ثنائية "الأنا" و"الآخر" من أهم المواضيع والإشكالات التي أثارت جدلا في السّاحة الأدبية والنّقديّة، وهي من القضايا المعقّدة في العصر الحديث المعاصر. إذ يسعى كلّ طرف منهما إلى إلغاء مقوّمات الآخر.

وتعدّ رواية "تلك المَحَبَّة" لـ"الحبيب السّائح" التي صدرت سنة 2002م، من الرّوايات التي قدّمت لنا صورة حيّة عن هذه العلاقة الجدليّة بينهما.

من الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع بالذّات:

- **شغفنا الكبير في الكشف غن خبايا هذا الموضوع الأدبي النّقدي الشّائك.**
- **إعجابنا الشّديد بأسلوب الكاتب في إنتاجه الرّوائي.**
- **محاولة معرفة سر الصّراع المتجدّد بين "الأنا" و"الآخر". ولماذا دائما تواجهنا هذه الثّنائيّة؟**

وتكمن أهميّة هذا الموضوع في تسليط الضّوء على قضية مهمة، وهي صورة "الأنا" و"الآخر" في الرّواية العربية بعامّة والجزائريّة بخاصّة، ودائما ما تُطرح في السّاحة الأدبيّة لكونها دائمة التّجدُّد وذات حركيّة مستمرّة.

ولانجاز هذا البحث سَطَرْنَا مجموعة من الأهداف منها:

- **معرفة العوامل التي تتحكّم في تشكّل العلاقة بين "الأنا" و"الآخر".**
- **معرفة أسباب توتّر العلاقة بين "الأنا" و"الآخر".**
- **محاولة الوصول إلى نقطة تَوَافُق بين الطّرفين تساعد على بناء حياة مستقرة، دون ذوبان طرف في الآخر.**

وتبعا لما تقدّم وقع اختيار موضوع مذكّرتنا الموسوم بـ (**الأنا والآخر في رواية "تلك المَحَبَّة" لـ"الحبيب السّائح"**) بهدف إزالة بعض الغموض والإجابة عن الإشكالية الآتية:

- **كيف صوّرت رواية تلك المَحَبَّة "الأنا" و"الآخر"؟**

وقد تفرّعت عن هذه الإشكالية التّساؤلات الآتية:

- **كيف تجلّت العلاقة بين الأنا والآخر في الرّواية؟**
- **وهل قدّمت هذه الرّواية أيّ جديد في هذا الإطار؟**

قمنا باتّباع منهج النّقد الثّقافي، كونه يتلاءم وطبيعة الموضوع انطلاقا من جمع المعلومات وتنسيقها، وأخذ منها ما يفيد في الدّراسة بينما جاء التّحليل لاستخراج تلك الثّنائيّة، وتحديد مواقعها المختلفة.

ومن هنا جاءت الدّراسة مكوَّنة من مقدّمة يليها مدخل، وفصلين تطبيقيّين، وأخيرا خاتمة؛ كانت حوصلة لأهم النّتائج المتوصّل إليها، والملحق، وقائمة المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات على النّحو الآتي:

❖ المدخل معنون بـــ**"مفاهيم ومصطلحات عامّة"** تناولنا فيه "الأنا" و"الآخر" بين المفهوم الوضعي والاصطلاحي.

❖ أما الفصل الأوّل فقد جاء معنونا بـ "**تجلّيات "الأنا"و"الآخر"في رواية "تلك المَحَبَّة" لـ"الحبيب السّائح**""، والذي تطرّقنا فيه إلى: الأنا الصّوفي، والأنا الصّحراوي، والأنا العاشقة للوطن، والأنا المسلم المسالم، والآخر الفرنسي، والآخر اليهودي، والآخر المسيحي.

❖ وفصل ثان سمّي بـــ" **العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" في الرّواية"** رصدنا فيه العلاقة التي جمعت بينهما سواء أكانت علاقة صراع أو تسامح.

وتجدر الإشارة إلى أنّ موضوع "الأنا" و"الآخر" تناوله العديد من الطلاّب؛ نذكر منهم:

– مذكّرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان " **الأنا والآخر في المعلقات العشر**" لـ "**سعد سامي محمّد**"

– مذكّرة لنيل شهادة الماجستير بعنوان " **الأنا والآخر في شعر مصطفى محمّد الغماري**" لـ "**سلاف بوحلايس**"

وغيرها من الأطروحات التي لم نذكرها.

كما اعتمدنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع كانت خادمة بصورة كبيرة لموضوع بحثنا، وهي:

– **"الأنا والهو" لـ"سيغموند فرويد Sigmund Freud "**

– **"المعجم المفصّل في الأدب" لـ"محمّد التوجني".**

– **"الذّات والآخر في الرّواية السّوريّة" لـ"إبراهيم خليل الشبلي"**

– **"الأنا والآخر (الشّخصيّة العربية والشّخصيّة الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي المعاصر)" لـ"عمرو عبد العلي علاّم".**

ولعلّ أهم الصّعوبات التي واجهتنا هي:

– **صعوبة تحليل وفهم الرّواية باعتبارها تميل نوعا ما إلى الطّابع الصّوفي.**

– **تعدّد فصول الرّواية وطولها .**

وفي الأخير لا يفوتنا أن نتوجّه بالشّكر الجزيل إلى أستاذتنا المشرفة **"الدكتورة أحلام عثامنية"**؛ على تحملّها أعباء متابعة وقراءة المذكّرة حتى انتهت، وصبرها على النّقائص التي تخلّلتها في كل مرّة والتي خصّتنا بوقتها الثمين، وخبرتها وتوجيهاتها السّديدة، وإلى كلّ من كانت له يد المساعدة من قريب أو بعيد، ولا يسعنا في الأخير إلاّ أن نأمل أن نكون قد أحسنّا العمل.

المـــدخل:
مفاهيم ومصطلحات
عامّة

أوّلا: مفهوم الأنا "Ego"

أ- وضعا

ب- اصطلاحا

ثانيا: مفهوم الآخر "The other"

أ- وضعا

ب- اصطلاحا

توطئة:

قبل الحديث عن إشكالية "الأنا" و"الآخر"، وعن الرّواية العربيّة لابدّ من تقديم مفهوم للرّواية أولا. والتي تعدّ اليوم أهم الإبداعات الأدبيّة التي شهدها العصر، ومحورا تدور حوله الدّراسات والأبحاث. باعتبارها نوع قصصي مبتكر له مميّزاته وسماته الخاصّة، فهي انعكاس لواقع الإنسان وصورة لحياة المجتمع. وذلك عن طريق عرض مجموعة من الأحداث يمكن أن تكون حقيقية أو خيالية عن طريق اللّغة.

ولا يمكن إنكار العلاقة الوطيدة بين التّاريخ والرّواية كما هو الحال في كتاب "الأمير" لـ"واسيني الأعرج"، والذي أثبت أنّ الرّواية والتّاريخ وجهان لعملة واحدة، فهذا الجنس الأدبي أتيح له أن يواكب الإنسان في بعض حضاراته، خلال حِقب وفترات زمنيّة طويلة من التّاريخ تعبيرا عن أفكاره وأحاسيسه وعواطفه ومن ثمّة هي وسيلة لرؤية "الأنا" و"الآخر" بلمسة فنية.

ومن البديهي أنّ "الأنا" هو الشّرق أو العرب، وبلدان العالم الثّالث التي تعني ؛ التّخلف، الفقر، و"الآخر" هو الغربي المثقّف، المتحضّر.

وتعد هذه الأخيرة "الأنا والآخر" من أهم القضايا التي تمثّلت، وبشكل كبير في الرّوايات العربيّة الحديثة. ولعلّ أبرز الرّوايات الّتي تمثّلت، وبشكل كبير في الرّوايات العربية الحديثة. وتعرّضت لإشكالية "الأنا العربي" و"الآخر الغربي"؛ رواية "موسم الهجرة إلى الشّمال" لـ"الطيّب صالح" التي تروي سيرة شابّ سوداني أخذ ينتقم من الغرب (الانجليزيات) عن طريق الجنس، إذ استولى عليهنّ منتقما من خلالهنّ من الاستعمار بطريقة تحمل بذور السّخرية.

هذا الفعل الذي أقدم عليه البطل العربي هو انتقاما من الغرب المستبد الظّالم، ومحاولة منه لردّ الاعتبار إلى الشّرق الضّعيف المقهور.

أمّا رواية "الأمير" لـ "واسيني الأعرج" فقد جسّدت لنا ثنائيّة "الأنا والأخر" من وجهة نظر أخرى وهي الانفتاح على "الآخر"

فالأنا: مجسدة في ذات (الأمير عبد القادر) القائد والمناضل والسّياسي العظيم .

والآخر: مجسّد في (القس أدولف مونسينيور ديبوش)، وهي شخصية مسيحية إنسانية عظيمة؛ إذ كانت العلاقة بينهما علاقة حميمة لا يمكن وصفها.

ونتيجة لهذه العلاقة بين "الأنا" و"الآخر"؛ لاقت هذه الرّواية العديد من الآراء.

ومن خلال ماسبق يمكن الاستخلاص، أن هناك تيّاران في الرّواية العربيّة: تيّار انتصرت فيه "الأنا" العربية على "الآخر" الغربي، وتيار اندهش وانبهر بـ"الآخر" الغربي فانفتح على كلّ ما جاء به، ونادى بالاندماج لأنّهم رأوْ أنّ "الأنا" العربية لم تلتحق بعدُ بالرّكب الحضاري الذي وصل إليه "الآخر".

كما أخذ الرّوائيّون الجزائريّون ذو التّعبير الفرنسي على عاتقهم مهمّة محاورة "الآخر"؛ ومن أبرز الرّوايات التي جسّدت ثنائية "الأنا" و"الآخر" روايتي (مولود فرعون) وهما "ابن الفقير" و"الأرض والدّم"، وأيضا "نجمة" لـ (كاتب ياسين).

فقد جسّدت لنا كلّ هذه الرّوايات معاناة "الأنا" الجزائرية إبّان الاستعمار الفرنسي "الآخر"، والصّراع القائم بينهما، ويتجلّى ذلك في إقصاء "الأنا" الجزائرية وتهميشها.

وبناءً على ماتقدّم يمكننا القول أنّ مفهوم "الأنا" و"الآخر"؛ يعدُّ من أهمّ الإشكالات التي فرضت نفسها للدّراسة والبحث، نظرا لما شهدته العلاقة بينهما من صراعات، شكّلت مادة دسمة للرّوائيين الذين جسّدوا طبيعة العلاقة بينهما من خلال توظيف شخصيّات عربية وغربية.

أولا: مفهوم الأنا "Ego":

حاز موضوع "الأنا" اهتمام الكثير من الأدباء والمفكّرين؛ كونه متعلّق بالذّات الإنسانية، وما يكوّنها ويثبت وجودها؛ إذ أنّ الوصول إلى مفهوم شامل لهذا المصطلح أمر في غاية الصّعوبة.

1. وضعا:

وردت الكثير من المفاهيم اللّغوية لـ "الأنا" في المعاجم العربية وغير العربية، فقد ورد في "معجم الوسيط" أنّ كلمة **"الأنا"** جاءت بمعنى: **"ضَمير رَفْع مُنْفَصلْ لْلْمُتَكَلّم أَوْ للمُتَكَلّمَةُ "**[1]. فهذا المفهوم يشير إلى أنّ هذا الضّمير يطلق على المذّكر والمؤنّث معا.

أمّا في معجم "المنجِد في اللّغة" فجاءت "الأنا" بمعنى: **"ضَميرْ رَفْع مُنْفَصل لْلْمُتَكَلّم ولْلْمُتَكَلّمَة والأَنَانَة قَوْلكَ أَنا"**[2]، فمن خلال هذا المفهوم يتبيّن لنا أنّ "الأنا"؛ وَصْفٌ للشّخص المذكّر أو المؤنّث، تخص المتكلم وحده. فهي تصوِّر الشّخص أوتعكس شخصيّته وأفعاله.

أمّا في معجم "محيط المحيط" فقد وردت لفظة "الأنا" بمعنى: **"ضَميرْ رَفع مُنْفَصل للمُتَكلّم مُذَكرًا ومُؤَنّثًا مُثَنَّاهُ وجَمْعُه (نحن)، الأَنَانَةُ قَوْلكَ أَنا"**[3]. فـ "الأنا" هنا هي: ضمير منفصل للمتكّلم تبدأ بالمذكّر له مثناه، وجمعه (نحن)

2. اصطلاحا:

يعدّ مفهوم "الأنا" من المفاهيم التي يَصْعُبُ على الباحث إدراكها وتقصّيها، من حيث هو مصطلح مراوغ غير متّفق على مفهوم واحد؛ لأنّه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب الفروع الإنسانية: الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، ...إلخ فهذا دليل على الاختلاف المتباين في مفهوم "الأنا"

1 إبراهيم مصطفى وآخرون، **معجم الوسيط**، تح: مجمع اللغة العربية، مادّة(أ، ن)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، ص28.

2 لويس معلوف، **المنجد في اللغة العربية**، مادة (أ، ن)، دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، (د، ط)، 2009، ص19.

3 بطرس البستاني، **محيط المحيط**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2009، ج1، ص17.

بالرّغم من أحادية المصطلح، إلاّ أنّ النّظرة والمفهوم يختلفان في كل علم من العلوم، فكلٌّ يرى بمنظورة الخاص.

أ- من المنظور الفلسفي:

تدل "الأنا" من المنظور الفلسفي على جوهر الذّات؛ أي أنّ من أولويّاتها الفرد. باعتباره كائنا حيويا له علاقات مرتبطة بالجماعة. فهو محرّك أساسي وفعّال في المجتمع، وقد اختلف مفهومه تبعا لاختلاف المذاهب الفلسفية، وتعدّد الرّؤى الفكرية.

فـ"الأنا" هي: **"الوَعي بوحْدَة الذّات التي تَرْبطُ وتَجْمَعُ بَينَ حَالَاتهَا الشُّعُوريَّة المُختَلفَة وأَفْعَالهَا المُتَعاقبة في الزَّمَان"**[1] .أي أنّها مجموعة من السّمات المرتبطة بالذّات، والتي تميّزها من خلال تفكيرها وأفعالها. تشير كلمة "الأنا" أيضا إلى: **"مَا يَهْتَمُّ به الفَرْدُ منْ أَفعاَل مُعتَادَة يُنْسبُهَا إلى نَفْسه فَيقُول: أَنا فَعَلتُ، وأنَا أَبْصَرتُ"**[2]. فـ"الأنا" هنا تمثّل كلّ اهتمامات الفرد وأفعاله المنسوبة إلى شخصيّته.

"الشُّعُور بالوُجود الذَاتي المسْتَمر و المُتَطَوّر بالاتصَال مع العَالم الخَارجي و الاحْتبَارَت والتَثقُّف ثُم بالتأَمل والاستبْطَان، وهَذَا الأنَا هو مَركَز البَواعث والأعْمَال التي تؤقلمُ الإنْسَان في مُحيطه وتُحَقق رغبَاته وتَحلُّ النزَاعَات المُتَوَلّدَة عَن تَعَارُض رَغبَاته"[3]. إذن فـ"الأنا" هي مركز الوجود الإنساني لامتلاكه خصوصيّة تميّزه عن "الآخر" إذْ يعبّر عن كينونته وتحقيق رغباته.

المراد بـ"الأنا" عند الفلاسفة العرب؛ الإشارة إلى النّفس المدركة، أمّا في الفلسفة الحديثة تشير كلمة (أنا) في معناها النّفسي والأخلاقي إلى الشّعور الفردي والواقعي، وإلى ما يهتمّ به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه، أمّا في المعنى الوجودي فتدلّ على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألّف منها الشّعور الواقعي فهو مفارق للأحاسيس والعواطف والأفكار، أمّا في المعنى

1 جلال الدين سعيد، **معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية**، دار الجنوب، تونس، (د، ط)، 2004، ص57.

2 جميل صليبا، **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية**، دار الكتاب اللبناني، لبنان، (د، ط)، 1982، ج1، ص140.

3 جبور عبد النور، **المعجم الأدبي**، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1979، ص36.

المنطقي فتعني كلمة (أنا) على المدرك من حيث أنّ وحدته وهويّته شرطان ضروريان يتضمّنهما تركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التّصوّرات التي في الذّهن [1].

"الأنا" في المعنى النّفسي والأخلاقي تحمل معنى واحد الذي يدلّ على حقيقة الإنسان، وما يعيشه الفرد في الحياة من مشاعر وأحاسيس التي يكتسب من خلالها تجارب، أمّا في المعنى المنطقي فهي مجموعة من الادراكات التي يتوصّل إليها الإنسان من خلال وحدته وهويّته ووجوده.

ب– من المنظور النفسي:

يرتبط مصطلح "الأنا" بالفيلسوف النّمساوي (سيغموند فرويد. Sigmund Freud)، كما حظي هذا المصطلح باهتمام علماء النّفس بشكل خاص، فقد عرّفه بقوله: **"ذَلكَ القسْمُ منَ الهُو الذي تَعَدَّل نَتيجَة تَأْثير العَالم الخَارجي فيه تَأثيرا مُباشرًا بوَاسطَة جهاَز الادرَاك الحسي، كَمَا أنَّهُ شَبَّه الأنا بالغَريزة في الهُو ويُمَثل الأنَا مَا نسمّيه الحكْمَةُ وسَلَامَةُ العَقْل عَلَى خلَاف الهُو الذي يَحْوي الانْفعَالَات"**[2]. يعني هذا أنّ "الأنا" تتأثّر بالعالم الخارجي، وتعدّ وسيطا بين رغبات الإنسان وواقعه وظروفه التي يعيشها.

"الأنا": **"تَكُون مُهَمَّتهُ الأَسَاسيَّة المُحَافَظةُ عَلى الشَّخْصيَّة وحمَايتهَا ممَّ يَتَعرَّض لَه منَ الأَخْطَار وإشْبَاع مُتَطلّبَاتهَا بشَكْل لَا يَتعارضُ مَع الوَاقع وظُروفه"**[3] فـ"الأنا" تهتم بالشّخصية، وتعمل على حمايتها من الأخطار.

أيضا **"هُو ذَلكَ الجَانبُ منَ النَّفْس الذي يَتَميَّزُ نَتيجَة الاتّصَال بالعَالَم الخَارجي،والذي يَقُومُ بوَظيفَة الوُقُوف عَلى الوَاقع، وبوَظيفَة قُبول بَعضُ الرَّغبَات أو المطَالب التي تَصدُر عَن الدَّوافع**

1 ينظر: جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، ص 139- 140.

2 سيغموند فرويد، **الأنا والهو**، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، مصر، ط4، 1982، ص41-42.

3 فرج عبد القادر طه وآخرون، **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، دار النهضة العربية، لبنان، ط8، 2000، ص63.

الفطْرِيَّة بَعدَ ضَبْطهَا، فالأَنَا يَتَّصفُ بالشُّعور"[1]. بمعنى أنّ "الأنا" يحمل وظيفة الوقوف على الواقع، ووظيفة فرز الرّغبات، وردود الأفعال الفطرية وضبطها.

ج– الأنا من المنظور الاجتماعي:

مثلما تناول روّاد الفلسفة، وعلماء النّفس مفهوم "الأنا"، كذلك كان لعلماء الاجتماع نصيب من ذلك، فقد عرَّفَ الفيلسوف الأمريكي (ويليام جيمس. William James) "الأنا" بأنّها **"ذَلكَ التّيارَ منَ التّفكير الذي يُكَونُ إحْسَاسَ المرء بهويته الشَّخصيَّة، وقَد رَأَى (كولي COOLLY) أنَّ طَبيعَةُ الأَنَا هُو شُعُور أَو خبْرَة شُعُوريَّة يُمْكنُ أَن نُطلقَ عَلَيهَا شُعُوري" my foling" أو الشُّعُور والاسْتحوَاذ"**[2]. نجده قد حاول الابتعاد عن مفهوم "الأنا" الخالصة، وأنّ لكلّ إنسان سماته وقدراته وهويّته، بينما يرى (كولي. Coolly) أنّ "الأنا" شعور يعيه الفرد، ويساعده في فهم نفسه و التّعرف عليها.

من جهة أخرى نجد (ميد هربرت. Mead Herbrt) يصف مرحلتين عامّتين في نمو الذّات، وهما كالآتي: **"مَرحَلة اللَّعبْ الفَرْدي Play stage ومَرْحلَة اللّعبْ الجَمَاعي Game Stage وتَكوُن عَلاَقة الطّفْل بالآَخرين قَبْلَ هَاتَين المرَحَلتَين عَلاَقةَ تَقْليد دُون إدرَاك واَعي بمَعَاني الأَفعَال ... وقَد أَطْلقَ ميد عَلَى الجَماَعَة كَكُل مُصْطلَح الآَخَر العاَم"**[3].وهو الذي يعدّ أساسيا في نشأة الذّات عن طريق احتكاكها وتأثّرها بالجماعة، ويرى أنّ الذّات تصبح كاملة عندما يتعلّم الفرد قواعد المجتمع.

كما ساهمت (ميد مرغريت. Margaret Mead) **"عالمة انتروبولوجيا ثقافية أمريكية" في تأسيس مفهوم آخر للأنا بحيث تقول:" بأن النفس عبارة عن شيء مدرك، وترى أن الشخص**

---

1 يوسف الخيّاط، **معجم المصطلحات العلمية والفنية**، دار لسان العرب،لبنان، دط، (د، ت) ، ص40.

2 عمرو عبد العلي علاّم، **الأنا والآخر الشخصية العربية و الشخصية الاسرائيليّة في الفكر الإسرائيلي**، دار العلوم للنشر والتوزيع ، مصر، ط1 ، 2005 ، ، ص 09.

3 مصطفى خلف عبد الجواد، **قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع ، مطبوعات مركز البحوث والـدراسات الاجتماعية**، القاهرة، (د،ط)، 2002، ،ص 57.

يستجيب لنفسه لشعور معين ولاتجاهات معينة مثلما يستجيب الآخرون له، وترى أن الفرد لا يملك ذاتا واحدة تكون في كل الأحوال وإنما للفرد عدة ذوات بحسب الأدوار الاجتماعية"[1].وهي لا تتّفق مع (فرويد. Freud) الذي يرى أنّ "الأنا" هو نظام من العمليات، بينما هي ترى أنّ هناك اتّساق بين إدراك الفرد لذاته وإدراك الآخرين.

د– من المنظور الأدبي الفني:

يعدّ "الأنا" مصطلح لا يتجزّأ من النّصوص الأدبيّة، إذ نكاد لا نجد نص أدبي واحد يخلو من الضّمير (أنا)، ومن المفاهيم التي طرحت لـ (الأنا) أدبيّا ما يأتي:

"هي غُرُور يَعْتَري الإنْسَان الأَديب والفَنَّان، وحُبُّ للنَّفس يَطغَى عَلى الإنْسَان في دَائرَة نَشَاطه إعْجَابًا بمَا يَقُومُ به منْ أعْمَال"[2].المقصود هنا أنّ "الأنا" هو انخداع يصيب الإنسان لشدّة حبه لنفسه، وإعجابه بها وبأعماله.

تعني أيضا كلمة "أنا" في المجال الأدبي **"أنَّهُ لا يُوصفُ بأنَّهُ الضَّميرُ الأَدَبي الذي يَبْرُز مُحَققا الوَعي الذَّاتي، ويَتَمَوضعُ في العَمَلُ الأَدَبي بضَمير المتَكلّم و المخَاطب والغَائب، وإنَّما يُوصَف بكَونه مَجمُوعة الضَّمائر التي تُنْشدُ الوحْدَة "**[3].

بمعنى أنّ "الأنا" يتأتّى من خلال سياق تنتمي إليه؛ أي مع مجموعة من الضّمائر التي تعطي معنى لهذا (الأنا).

1 منى لبي ووريده منصوري، **الأنا والآخر وسؤال الهوية في رواية تواشيح الورد لمنى بشلم**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية والأدب العربي جامعة الوادي، 2022/2021، ص18.

2 محمد التوجني، **المعجم المفصل في الأدب**، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 1999، ج1، ص 133.

3 رضوان جنيدي، **جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم**، دار الأيام، عمان، ط1، 2015، ص13.

كذلك هي **"تَعْبير يَعني الذَّات الوَاعيَّة، وقَد يَسْتَخدمُ المصْطَلح ليُشيرَ إلَى تلْكَ السّمَة أو ذَلكَ المكَوّن منْ مُكوّنَات الشَّخصيّة الذي يُسَيْطر بأَكْثَر الطُّرق مُبَاشَرة وفَوريَّة عَلى الفكْر والسُّلُوك، فَهُو الأَنَا التي تَشعُر وتُفَكّر وتُميز الشَّخْص عَن الذَّوَات الشَّخَصيَة الأُخرَى"**[1].

"الأنا" هي: **"عَلاَمَةُ مُضْمَرة وفي تواريها يَنْبَني أَسَاس الَأنَا الأَدبيَّة دَاخلَ النَّص الأَدَبي ... وتَتَجلَّى ثُنَائية الحُضور وَالغيَاب في تَعَاقب دَائم يَضْمَن تَأسيسَ وحْدة ضَمَائريَّة تَربطُ العَمَل ربَطاً يتَّسقُ وبناَءه الأَدَبي"**[2].

إذن "الأنا" هي الضّمير الذي يعبّر عن الذّات أو الفرد داخل سياق ما. أو في نصّ أدبي من خلال ارتباطه مع ضمائر أخرى، والتي من خلالها يتحددّ المعنى المراد، وقد تكون هذه "الأنا" ظاهرة في النّص أو مضمرة تدلّ عليها مجموعة قرائن.

ممّا سبق يمكننا القول أنّ "الأنا" من المنظور الأدبي عموما؛ تعتمد على الضّمائر التي تتفاعل من خلال النّصوص الأدبيّة؛ فقد تكون واضحة أو مضمرة.

ممّا سبق يمكننا القول أنّ "الأنا" تتعدّد دلالاتها عند الفلاسفة والمفكّريين، كلّ يعرّفها حسب نظرته، وعلى حسب خلفيّته الفكريّة التي ينطلق منها.

ثانيا: مفهوم الآخر "The Other"

سنحاول التّطرّق إلى مفهومه الوضعي والإصطلاحي:

1. وضعا:

إذا نظرنا إلى مفهوم "الآخر" في المعاجم العربيّة القديمة كمعجم "لسان العرب" لـ (ابن منظور) نجد لفظة **" الآخَر، بالفتح: أحد الشيئين وهو اسم أَفْعَل، والأنثى أُخْرَى، إلا أنَّ فيه معنى الصفة**

1 ابراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، التعاضدية للعمالة للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1986، ص47

2 رضوان جنيدي، **جماليات الأنا في الشعر المغاربي القديم**، ص13.

لأن أَفعل من كذا لايكون إلا في الصفة. والآخر بمعنى غير كقولك رجل آخَرُ وثوب آخَرُ "[1]. يدلّ الآخر هنا على الغيريّة.

أمّا في معجم "الوسيط" فنجد لفظة "الآخر" بمعنى " **أحد الشيئين، ويكونان من جنس واحد"**[2] . "الآخر" هو أحد الشّيئين وينتميان لنفس الجنس.

وفي معجم "المنجد في اللغة والأدب والعلوم" نجد " **الآخر ج آخرون م أُخْرى وأُخْراة ج أُخَر وأُخْرَيات: بمعنى غير، ولكن مدلوله خاص بجنس ماتقدّمه"**[3]. "الآخر" هنا يكون من نفس الجنس كقولنا رأيت رجلا وآخر معه؛ بمعنى معه شخص من جنسه.

أجمعت هذه المعاجم الثّلاث على أنّ؛ "الآخر" يعني به الغير، وغالبا مايكون هذا "الآخر" من نفس الجنس.

2. إصطلاحا:

تعدّدت وتنوّعت دلالاته، اذ يشير "الآخر" إلى كلِّ ما هو مُغَايِر عن "الأنا" أو "الذات" في كلّ المناحي، فالفرد يمثّل "الآخر" بالنّسبة للجماعة، والفقير هو "الآخر" بالنّسبة للغني، نفس الشّيء مع الشّرق الذي يَعُدُّ الغرب هو "الآخر". والذّكر هو "الآخر" بالنّسبة للأنثى وهكذا...

ونحدّد "الآخر" من خلال اختلافه عن "الأنا" في مواطن عديدة سواء أكان هذا الاختلاف من ناحية العرق، الجنس، اللّون، اللّسان... فهذا "الآخر" قد "**يكون قريبا أو بعيدا، كما أنه قد يكون فردًا أو جماعة من الجماعات، أو شعبا من الشعوب بحيث تنتفي علاقة القرب المكاني أو**

1 ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أ، خ، ر)، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2013، مج3، ص12.

2 إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون، **معجم الوسيط**، مادة (أ، خ، ر)، ص08.

3 لويس معلوف، **المنجد في اللغة**، دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، د.ط، 2009، ص05.

البعد في تحديده، أو علاقات الصداقة والعِداء فقد يكون الآخر قريبا، كما يمكن أن يكون بعيدا، وقد يكون صديقا، أو عدوًا" [1]

فـ"الآخر" كما قال عنه (عبد الصّمد زايد) في كتابه (المكان في الرّواية)؛ بما معناه أنّه مندسٌّ في ذواتنا لاشعوريا، فهو متجذّرٌ في أعماق أنفسنا وليس بالبعيد عنّا.

أ– من المنظور الثّقافي:

نجد هذا المصطلح قد ساد في خطابات عدّة سواء الخطاب الكولونيالي أو خطاب ما بعد الكولونياليّة، وكذا الدّراسات الثّقافيّة؛ هذه الأخيرة والتي بعد التّطوّر الهائل الذي طالها أصبح "الآخر" بالنّسبة لها من أكثر المفاهيم حضورا لديها.

إذ يقول (سعد البازغي) أنّ "**الآخر في أبسط صوره هو مثيل أو نقيض "الذات" أو "الأنا"... ورغم سيولة المصطلح وصعوبة بلورة معالمه بوضوح إلا أنه "تصنيف" استبعادي يقضي اقصاء كل ما لا ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة"**[2]

"الآخر" حسب قوله هو المعاكس لـ "الأنا" والذي يقوم بإقصاء ما لا ينتمي إليه، فلكلٍّ جوهره الخاص والمتفرّد.

إذ أنّ "**مفهوم "الآخر" يتأسس على مفهوم "الجوهر"؛ أي أن ثمة سمة أساسية جوهرية تحدد "الذات" مما يجعل الآخر مختلفا عنها، وبالتالي لا ينتمي إلى نظامها"**[3] فالجوهر هو الذي يحدث تلك المفارقه بين كلاهما. لأنّها سمةٌ يتميّز بها أحدهما على الآخر؛ فتجعله متفرّدا.

---

1 سعد فهد الذويخ عيطان، **صورة الآخر في الشعر العربي– من العصر الأموي حتى نهاية العصر العبّاسي–** ، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2009، ص10.

2 سعد البازغي، ميجان الرويلي، **دليل الناقد الأدبي**، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002، ص21.

3 **المرجع نفسه**، ص22.

يعرّفه (سمير خليل) بقوله أنّ "الآخر: **"كل ماهو (غيري) أي ماهو خارج نطاق الذات"** [1]؛ بمعنى أنّ كل ماهو خارج عن الذّات يسمّى بـ"الآخر"، ويطلق عليه أيضا لفظ الغيريّة.

أمّا (حسن شحاته) فيعرّف "الآخر" بقوله: **"يتخذ مفهوم الغير في التمثل الشائع معنى تنحصر دلالته في الآخر المتميز عن الأنا الفردية أو الجماعية"**[2]

يعني هذا أنّ "الآخر" له مميّزات عدّة قد تكون عرقيّة أو حضاريّة أو اجتماعيّة، أو فروقات طبقيّة، أو ماديّة وغيرها. إذ تجعله يتفرّد بها عن الذّات.

نجد أيضًا (محمّد نور الدّين أفاية) قد تحدّث عن "الآخر" قائلا: **"الآخر– والأمر يتعلق هنا بالغرب– باعتباره اختلافا ثقافيا يشكل جزءا من نظرتنا للذات، سواء تقدم إلينا بوصفه شريكا متساويا أو في هيئة غازٍ، أو تاجر أو مبشر أو باعتباره كيانا متغطرسا أو مهادنا، الخ. فالآخر حال في المجال الوجودي للهوية. إنه يمثل، وبشكل مفارق، موضوع إغراء ومنبعا للحيطة والحذر."**[3]

يمثّل "الآخر" جزء من الذّات مهما كانت مواصفاته؛ شريكا، عدوّا، تاجرا ... مهما كانت صفته، يتوجّب أخذُ الحيطة والحذر منه.

حضر مصطلح "الآخر" في جلّ الدّراسات الثّقافيّة، بحكم أنّه كان ينخرط ضمن البحوث التي يكون الحديث فيها عن العلاقة القائمة بين طرفين أحدهما آخر للثّاني، مهما كانت طبيعة هذه العلاقة.

ب– من المنظور الفلسفي:

1 سمير الخليل، **دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي –إضاءة توضيحية للمفاهيم الثقافية المتداولة–**، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1971، ص09.

2 حسن شحاته، **الذات والآخر في الشرق والغرب – صورة ودلالات واشكالات–**، دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2007، ص17.

3 محمّد نور الدّين أفاية، **الغرب في المتخيّل العربي**، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشّارقة، ط1، 1996، ص12.

بحكم اختلاف التيّارات الفلسفيّة، والمذاهب الفكرية اختلفت رؤى الفلاسفة والمفكّرين حول مفهوم "الآخر".

نجد (مراد وهبة) قد عرّف "الآخر" **بقوله " other, autre أحد تصورات الفكر الأساسية، ويراد به ماسوى الشئ مما هو مختلف أو متميز"**[1]؛ المراد من هذا القول أنّ "الآخر" نابع عن تصوّرات فكريّة، وهو ذلك المختلف عن "الأنا".

"الآخر هو الأنا التي لست أنا"[2]؛ بمعنى أنّ "الآخر" هو ذات حاملة لنفس المقوّمات العقليّة والنّفسيّة والأخلاقيّة التي تحملها "الأنا"، أي أنّ له ذات أخرى قائمة خارج ذاتي، وبإستقلال عنها. هذا ما أراد (جون بول سارتر. Jean- Paul sartre) قوله في هذا الموضوع.

يعرّفه (محمّد رجب) بأنّه **"عبارة عن مقوم جوهري من مقومات الذات، من حيث أنها لا تكون كذلك إلا من خلال "الآخر" ولاتتعرف على ذاتها إلا عبر ذلك (الآخر)"**[3]

بمعنى أنّنا لنتعرّف على ذواتنا يتوجّب علينا التعرّف على "الآخر" أوّلا، فكلاهما مرتبطان ببعضهما البعض.

"إنّ (الآخر) عند (فوكو) متعلق بالذات تعلقا لافكاك منه، شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت" [4]

يرى (ميشال فوكو. Michel Foucault) أنّ "الأنا" و"الآخر" هما وجهان لعملة واحدة. ويربطهما رباط وثيق؛ شبهه بارتباط الحياة بالموت.

1 مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، باب الغين، دار قباء الحديثة، مصر، ط5، 2007، ص449- 450.

2 كامل فؤاد، **الغير في فلسفة سارتر**، دار المعارف بمصر، القاهرة، (د.ط)، (د. س)، ص23.

3 محمود رجب، **فلسفة المرأة**، دار المعارف، مصر، ط1، 1994، ص203.

4 سعد البازغي، ميجان الرويلي، **دليل الناقد الأدبي**، ص22.

لم يكن "سارتر" و"فوكو" الوحيدين اللّذان قدّما، وجهة نظرتهما الخاصّة في هذا الموضوع فقط؛ وإنّما "أرسطو" هو الآخر قدّم لنا رأيه الخاص في هذه القضيّة؛ إذ نجد "الآخر"عند كل منهم مختلف.

فـ"**بالنسبة إلى أرسطو فإن الآخر المستبعد هو الغريب الذي لم يتمكن من استخذام وفهم اللغة المشتركة (اليونانية)؛ ونتيجة لذلك أصبح البربري هدَفا للمطاردة أي أصبح عبدًا**" [1] إذْ استخدم (أرسطو) اللّغة باعتبارها أهم عناصر الهويّة اليونانيّة، فأُطْلِقَ لقب بربري على كلّ من لايتكلّم اللّغة اليونانيّة، فالـ"الآخر" بالنّسبة له كلّ من هو خارج عن الدّائرة اليونانيّة.

اكتسب "الآخر" في المنظور الفلسفي أبعادًا متباينة، فكلٌّ عرّفه حسب منظوره وتوجّهه الخاص به؛ هذا ماجعل المفاهيم تتشعّب وتختلف.

ج– من المنظور الاجتماعي:

كثرت وتعدّدت وجهات النّظر حول "الآخر" من قبل العلماء والباحثين. إذ انعقدت ندوة "للجمعية العربية" الخاصّة بعلم الاجتماع في منطقة "الحمّامات" بتونس تحمل عنوان "صورة الآخر" قدّموا من خلالها مفهومًا لـ"الآخر" بقولهم "**الآخر حاضر وبقوة في المجال العام للهوية، ولذلك فإنه يمثل وبشكل مفارق أحيانا موضوع اعزاء ومصدر حذر وحيطة في نفس الآن...**"[2]

بمعنى أنّ "الآخر" مُصَاحب للهويّة مهما كان شكله، ووصفه، وكذا موقفنا منه.

يقول في هذا الموضوع (شاكر عبد الحميد) : "**أن الآخر قد يكون أحد الأفراد وقد يكون جماعة من الجماعات أو أمه من الأمم، فـ (الآخر) قد يكون قريبا وقد يكون بعيدًا، وقد يكون صديقا وقد يكون عدوًا**" [3]

1 الطّاهر لبيب، **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظور إليه**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، ط1، 1999، ص54.

2 عمرو عبد العلي علام، **الأنا والآخر (الشخصيّة العربيّة والشّخصيّة الاسرائيليّة)**، ص13.

3 **المرجع نفسه**، ص12.

بمعنى أنّ "الآخر" لايشترط فيه أن يكون فردًا، أو يكون صديقا. بل قد يكون عدوا، وقد يكون جماعة، كما قد يكون أمّةً من الأمم.

فـ"الآخر" من المنظور الاجتماعي مرتبط إرتباط وثيق بـ"الأنا"، إذ تجمع بينهم علاقة تلازم وتكافؤ.

د– الآخر في الفكر العربي:

حظي "الآخر" بمكانة كبيرة لدى الأدباء والنّقاد العرب، إذ تحدّث عنه (سعد فهد الذويخ) بقوله: **"من لم يُنْسب إلى العرب، ومن لم يتصل نسبه بقبائل العرب، وإن عاش في مجتمعهم، كالفارسي، والرومي، والتركي، والحبشي"**[1]

فالـ"الآخر" هنا هو كل من لاينتمي للذّات العربيّة، فكل من ليس أصله عربي، ومتعايش مع العرب ومسلم يبقى في نظرهم "آخر"، إذ يعدّ خارج عن ذواتهم العربية.

"عرف العرب الآخر من خلال الاحتكاك بالأمم المجاورة، عن طريق الحروب، أو التجارة، أو المعاهدات والمواثيق"[2] فمعرفة العربي لـ "الآخر" جاءت جرّاء التّبادلات التي حدثت بينهم من خلال التّجارة والحروب وغيرها.

وتعدّ **"علاقة الذات بالآخر علاقة تأثر وتأثير متبادل، ويؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به، دون أن يتماهى أحدهما في الآخر تماما"**[3] فذلك الاحتكاك الذي ذكرناه سالفا بين "الذّات العربيّة" و"الآخر الغير عربي" جعلت هناك تأثيرا وتأثّر متبادلين، بحيث أنّ كل واحدة منهما بقيت محافظة على خصالها المأثورة، مع اضافة مايعجبها من الآخر. فكان هذا التّأثير بعيد عن المساس بمقومات كلّ واحدة منها.

---

1 سعد فهد ذويخ، **صورة الآخر في الشعر العربي – من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي–**، ص12.

2 **المرجع نفسه**، ص 14.

3 **المرجع نفسه**، ص12.

"الآخر في أوضح صوره مثيل الذات ونقيضها، وهو طرف مهم لتدرك الذات نفسها"[1]

فـ"الآخر" له أهميّة بالغة حتّى تتمكّن الذّات من إدراك نفسها، فهذا الإدراك يكون بموجب وجود الآخر. ولهذا نجد أنّ الكتّاب العرب بعامّة والجزائريّين بخاصّة، وظّفوا "الأنا" و"الآخر" في كتاباتهم. وهذا راجع لادراكهم بمدى ترابط كل طرف بالآخر.

أصبح "الآخر" موضوعا مهمّا في كامل الدّراسات الأدبيّة، والخطابات كذلك؛ فقد **"شاع بوصفه مصطلحا في الدراسات الأدبية المقارنة، وفي الاستشراق، والخطاب الاستعماري، وما بعده"**[2] هذا راجع لاحتكاكه بـ"الأنا" منذ الأزل.

ممّا سبق يمكننا القول أنّ "الآخر" من المنظور الأدبي والفكر العربي، يختلف مفهومه بإختلاف طريقة التّعامل معه. ويبقى أساسي كي يتعرّف الأنا على نفسه. فلكل من "الأنا" و"الآخر" خصائص تجعله يتفرّد بها، ويقوم كلاهما بتبادل تلك الخصائص فيما بينهم لكي ينتفع كل منهما من الثّاني.

1 ابراهيم خليل الشبلي، **الذات والآخر في الرواية السورية**، ص15.

2 **المرجع نفسه**، ص. ن.

الفصل الأوّل

تجلّيات "الأنا" و"الآخر" في الرّواية

أوّلا: تجلّيات "الأنا" في الرّواية

أ- الأنا الصّوفي.

ب- الأنا الصّحراوي.

ج- الأنا العاشقة للوطن.

د- الأنا المسلم المسالم.

ثانيا: تجلّيات "الآخر" في الرّواية

أ- الآخر المسيحي.

ب- الآخر اليهودي.

ج- الآخر الفرنسي.

أوّلا: تجلّيات "الأنا" في الرّواية:

تعدَّدت "الأنا" وصورها في البناء السّردي للرّواية، وتشكّلت أحوالها في أطر العلاقات الإنسانيّة والاجتماعيّة التي اتّصلت بها بتعدّد "الآخر" الذي خاطبته، حيث اتّخذت أشكالا عديدة ومختلفة فهي ليست بالصورة الواحدة. وعند دراستنا لرواية "تلك المحَبَّة" وبحثنا في مضامينها وتمظهرات صور "الأنا" وتجلّياته فيها، رصدنا تعدّد أوجه اختلافه فنجد منها الأنا الصوفيّ، والأنا الصحراويّ، والأنا العاشقة للوطن، والأنا المسلم المسالم.

أ- الأنا الصّوفي:

افتتح الكاتب روايته بمقدّمة صوفيّة وذلك بتوظيفه بيتين من الشّعر (للخيّام)، واقتباسه مقولة (أبي الحيّان التوحيدي). ومن خلال عنوان هذه الرّواية "تلك المحَبَّة" نلمس سمة صوفيّة من خلال مصطلح المحبّة فهي توحي إلى دلالات روحيّة "العشق، الحب، التعبّد، التعلّق".

وما يؤكّد لنا المنحى الصوفي لهذا النّص الرّوائي وما وظّفه في بداية روايته، هما بيتين شعريين للشّاعر المعروف (عمر الخيّام) يقول فيهما:[1]

"يَا قَلْبُ كَمْ تَشْقَى بِهَذَا الوُجُود وكلّ يوم لَكَ هَمٌّ جَديدُ

وَأَنتَ يَارُوحي مَاذاَ جَنَتْ نَفْسي وأُخْرَاكَ رَحيلُ بَعيدُ "

عند التّمعُّن في هذين البيتين نَجد فيهما إشارة صوفيّة واضحة (القلب، الشّقاء، الوجود، الهمّ، الحياة، الآخرة، الرّحيل).

ثم يضيف بعد هذين البيتين مقولة للأديب والفيلسوف الرّوحي (أبو الحيّان التوحيدي) التي يقول فيها:" **إيّاك أن تعاف سماع هذه الأشياء الجارية على السّخف، فانك لو أضربت عنها جملة**

1 الحبيب السائح، **رواية تلك المحبة**، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2016 ، ص7.

لنقص فهمك وتبلد طبعك، ولا يفتّق العقل شيء كتصفّح أمور الدُّنيا، ومعرفة خيرها وشرّها، وعلانيّتها وسرّها"[1].

وتتضمّن هذه المقولة أيضا إشارات صوفيّة فلسفيّة من خلال توظيفه للمصطلحات الآتية: (السّماع، الفهم، الطّبع، العقل، الدّنيا، الخير، الشّر، العلانيّة، السّر).

وما يدلّ أيضا على الجانب الصوفيّ في الرّواية؛ تقديم الرّاوي لمقاطع سرديّة ذات دلالة صوفيّة، إذ ابتدأ روايته بالإستغفار وطلب الشّفاعة من الحبيب المصطفى والاستعانة بالأولياء الصّالحين والأئمة والحكماء **"أستغفر الحقّ وأترجّى الشّفاعة من حبيبه، وأبتغي مرضاة الأقطاب، والأولياء والأئمة، والأوتاد والحكماء، والصالحين، والصوفيّة والزهّاد، ورجال الرّمل والماء والفقراء والأعماد"**[2].

فقد كان الجانب الصّوفي ظاهرا وبقوّة داخل هذا النّص الرّوائي.

ومن ذلك:" **فإنّما أنا للخالق مذعن، والى الخالق مركن، وبمرضاة الوالدين الشريفين، تمتدّ لي بساطا من العون أخضر ممعن"**[3].

يستعين الرّاوي بعبارات ومفردات صوفيّة ذات دلالات روحانيّة (الاستغفار، الشفاعة، الرّجاء).

وفي موضع آخر يخاطب الرّاوي أدرار الصّحراء: " **أملك من سرّ الكهانة ما أسخّره لحمايتك من العين والنّفث والعفاريت. أكون قبضتك الفاتكة على عدّوك، وعينيك في مسرى ظلمتك"**[4]

وظّف الكاتب في هذا المقطع مصطلحات (الملك، السّر، الكهانة، التّسخير، الحماية من العين والنّفث والعفريت)؛ التي تعبّر عن الأنا الصّوفيّة القادرة على حماية الأرض والوطن (أدرار).

---

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص09.

2 **المصدر نفسه**،ص 11.

3 **المصدر نفسه**، ص. ن.

4 **المصدر نفسه**، ص21

وقوله أيضا عن عشق الصّحراء:" **ومن زاعم أن عارفا بمقام وليّ عشقها قبل أن يزهد وكان امتحانه إلى المكاشفة أن ينتصر مع الشّيطان لازمه المسير والنّوم وأحدث في نفسه تخالجا لتلك المرأة مع الذكر فدعا ربه أن ينزل في تجويف قلبه، تسكنه، حفنة رمل**"[1].

فهذه المفردات (العارف، العشق، الزّهد، المكاشفة، الإنتصار، الشّيطان، النّوم، النّفس، التّخالج، الذّكر، القلب...)؛ توحي بالزّهد وعدم التكلّف ومعرفة الحلال من الحرام وما يعينه على طاعة الله والابتعاد عن المعاصي ونزوات النّفس.

ويقول أيضا:" **كان شيخ شروين أسدى إليّ النّصح بأن أسمع وأبخّر وأسجع، ثم أستغيث وأستحضر وأجمع. ففعلت فأهداني تابعا من تلك الإمارة** "[2].

قدّم له هذا الشّيخ النّصح بالسّماع والخشوع و الاستحضار والإجماع والإستغاثة وهي من آداب الصوفيّة.

وفي موضع آخر يقول:" **كان ذلك الرّجل الدّرويش الذّي حارت في طبعه العقول يظهر بشرا سويا ويختفي ترابا رمليا في العرق** "[3].

فهذه الكلمات (الحيرة، الطّبع، العقل، الظّهور، البشر، الاختفاء)؛ هي رموز صوفيّة عكست لنا صورة الأنا الكاتب، وهو رجل دين ومتصوّف.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبة**، ص17.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

3 **المصدر نفسه**، ص 11.

ب- الأنا الصّحراوي:

من جهة أخرى تتّضح لنا صورة الأنا (ابن الصّحراء)، من خلال مصطلحات معبّرة عن البيئة الصحراويّة مثل مفردة "العرق" التي تكرّرت داخل النّص الرّوائي بكثرة "**وذلك عرق من رمل**"[1].

و قوله أيضا:" **ويختفي ترابا رمليّا في العرق**"[2].

وكذلك مفردة "الرّمل" في أكثر من موقع:" **ورجال الرّمل**"[3]، وأيضا:" **انتشر في الرّمل والقفار**"[4].

كما نجد أيضا مفردة "النّخيل" في أكثر من موضع:" **يخرج من بين النّخيل فيطأ أرض القصر**"[5].

ويقول في موضع آخر" **بين جنان النّخيل**"[6]. تحيل كلّ هذه المصطلحات(العرق، الرّمل، النّخيل)، إلى البيئة والمكان الصّحراوي.

وممّا يدّل أيضا على أبعاد وصفات شخصيّة "الأنا الصّحراوي" في الرّواية أنه جاء في صورة الفارس إذ يقول الرّاوي:" **الفارس النّبيل المتوّج بالشّهامة يعرفه الغول والسعلاة والوحش والفلاة. طوى في زوادة عشقه الفيافي. وبخطوة بين (الهقّار) وبين (أدرار)**"[7].

1 الحبيب السائح، **تلك المحبة**، ص11.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

3 **المصدر نفسه**، ص. ن.

4 **المصدر نفسه**، ص17.

5 **المصدر نفسه** ،ص16.

6 **المصدر نفسه**، ص17.

7 **المصدر نفسه**، ص13.

يحاول الرّوائي من خلال هذا المقطع أن يصوّر لنا أنّ "ابن الصّحراء" أو "الرّجل الصّحراوي" فارس شجاع، نبيل، شهم، يعرف الصّحراء وخباياها.

ويقول أيضا:" **الذي حارت في طبعه العقول يظهر بشرا سويّا ويختفي ترابا رمليّا**"[1].

فالرّجل الصحراوي له قدرات خارقة ومذهلة، أدهشت العقول وهو هنا بصدد المدح، وفي هذه الصّورة نلتمس تلك النّظرة النّرجسيّة وإعلاء الذّات الصّحراويّة على "الآخر".

ومن بين ما تميّز به الرّجل الصّحراوي على غرار الصّفات المذكورة سابقا: الشّجاعة، القوّة، السّلطة، الملك... وهي صفات أصيلة متوارثة عن الأجداد والآباء.

فـ"الأنا" يجسّدُ في صورة السّيد الحر، الشّجاع، المحارب، القوّي، صاحب السّلطة والملك، الذي تخضع له رقاب الشّعوب والأمم فيجعلهم عبيداً :" **أنا الذي ملك ابائي عبيدا وإمّاء**"[2].

ويقول في موضع آخر:"**كان أجدادي أهل تجارة وسادة قوافل وسدنة سوق توّات التي لم يكن بعدها سوق شمالا ولا جنوب أبدعوا لها تراتيب عجيبة في البيع والمقايضة، حدّثني آخرهم عن أبيه يذكر له عهد الرّبح والوفرة والنّظام فمن تجّار الزيت والسّمن والصّابون والسّكر والشّاي إلى تجّار الصّوف والقطن وتجار الملابس والقفاطين إلى الخيّاطين والنّجارين والحدّادين**"[3].

فقد كان أجداد الرّجل الصّحراوي "الأنا" أصحاب مال، وشان، وهمّة في تجارتهم، التي أبدعو فيها من خلال الرّبح من البيع.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص11.

2 **المصدر نفسه**، ص21.

3 **المصدر نفسه**، ص22.

إضافة إلى ذلك فإنّ "الأنا" (ابن الصّحراء)، مؤسّس المدن والحضائر:**"عن آبائي الكرام أسّسوا لهذه البلدة الطيّبة المواتية أركانها القائمة على الماء، وأن منهم من ينعتني بما لا يناسب مقامي، فإني لست بهّاتا ولا دجّالا"**[1].

كان لأجداد وآباء ابن الصّحراء لهم دور كبير وفضل عظيم في تأسيس هذه البلدة الطيّبة، لكن هناك من أنكر ذلك ولم يعترف بفضله حتى نعتوه بأبشع الصّفات (دجّالا).

ج- الأنا العاشقة للوطن:

اعتمد الرّوائي "الحبيب السّائح" على توظيف الإيحاءات الجنسيّة في متنه الرّوائي، باعتبار أنّ الجنس أصبح ضرورة فنيّة يستوجب على الرّوائي إدراجها ضمن عمله، فهو إحدى تداعيات الكتابة الحداثيّة التي تثري النّص الرّوائي وهذا أمر منطقي خصوصا أنه حاضر في حياة الإنسان.

وتتّضح هذه الإيحاءات الجنسيّة في النّص الرّوائي للحبيب السائح من خلال شخوصها وعلاقتها مع بعضها البعض، فظهرت الأنا بمظاهر مختلفة، مثل الأنا المحبّة للوطن.

معتمدا في ذلك على تصوير مجازي؛ وذلك من خلال المقاطع التي وردت في النّص الرّوائي كقوله: **"وانَّ عقلي لم يعد عامرا إلا بصورة امرأة، هي أنت،لم أكن رأيتها من قبل، لم ترو لي الكتب، قرأتها كما روت عنك"**[2].

وهنا يشبّه الكاتب الصّحراء بالمرأة الجميلة الفاتنة، والمرأة هي رمز الوطن أو المكان أو البيئة الصّحراوية، التي استحوذ على عقله بالكامل وذلك من خلال المحبّة التي يكنّها لها.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص 23.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

يواصل الرّاوي مخاطبة هذه المرأة قائلا:" **افتحي بوّابات جسدي كلّها بيديك المائيّتين الدّافئتين، وازرعي في قلبي بذرة مما علق عصا الرجل الصالح تنمو عشبا أفرشه لقدميك إلى عين الحياة لندخل في صمت الرمل**"[1].

فهو يعبّر عن حبّه الشّديد لهذه المرأة أو الوطن، بالصّحراء من خلال تصوير حبّه للمرأة التي أخذت كلّ عقله فأصبح عاشقا ولهانا.

"**وخطّي بشفتيك على صدري صبر النّخيل على الالتظاء فإني ماؤه. إنّي ترابك، إنّك عصف الرّغبة وأنفاس الاشتهاء أقبض نفسي، فضمّيني، واضغطي على صدري نهديك، أمحو من تذكاراتي كلّ أثر لكلمة منك بالهمس والحركة**"[2].

وقول الرّاوي أيضا:" **وأُوشم سرّتك ببتلات وردة الرمال قبل تحجّرها وفي تجويفها أَقْطُر من محبّتك خمرةً أسقي منها غليل الصّحراء. وأبداً، لن أغتسل، أبداً، ما لم يعممني ماؤك يجري عن يمين فراش نومك**"[3].

صرّح الرّاوي عن محبّته من خلال الحاجات الجسديّة إضافة إلى امتزاج روحه بالخمرة لكي يشفيه غليل الصّحراء.

فالكاتب لا يصف الصّحراء إلاّ من خلال المرأة الفاتنة؛ بذكر محاسنها والشّبه الكبير بينهما، من خلال عيونها وجسدها وقلبها، إذ يقول:" **أرى في عينيك المشعّتين بالبهاء آية ضياعي،إنْ قدري أسدل بيني وبينك حجاب المسافة فكنت نقطة هنا في مدينة الصّمت والصّبر والاحمرار،**

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص 24.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

3 **المصدر نفسه**، ص. ن.

ورحت أنا صرابا لك هناك في أفق البحر، تبحثين عنّي في ماء أحوالك، وألقاك هنا، مثل نيسان، في جذع نخلة كما عدت إليك"[1].

وقوله أيضا:"**وألقاك هنا، مثل نيسان، في جذع نخلة كلّما عدت إليك، من المهالك أرتضي أخطرها لأسكن قلبك الأخضر، لو جمعت له لون نخيل جنان آبائي تحت شموس آذار ما كنت له كفوة"[2].**

فهو هائم في عينيها اللاّمعتين بالصّفاء والنّقاء، إلاّ أنّ قدره كان بعيدا عن المدينة، لذلك دائما كان يشبّه الصّحراء بالمرأة الجميلة لشدّة حبه وتعلّقه بها.

ويضيف قائلا:"**وأن تكوني وحدك المرأة واهبة الحياة في الصّحراء وباعثة الغيرة في صدور النّساء وناشرة الفتنة في دولة الأيّام ومفتقة الغواية في قلوب الرّجال، فإني الرّجل أمنحك أن تتحسّسي وجودك في مشاعري وأن تتنفّسي في صدري هواءك وأن تطلبي حياتك في دمي"[3].**

كما شبّهها أيضا (الصّحراء) بالمرأة الفاتنة من ملامحها الجسديّة والمعنويّة، وبالمرأة الواهبة للحياة مثلما ترعى الأمّ أولادها كما تُمثِّل المرأة التي تبعث الغيرة في قلوب النسّاء، وتنشر الفتنة بينهم وتغوي الرّجال، فهو يدعوها للإحساس بمشاعره.

ويقول أيضا:" **فضمّني إلى صدرك الزّاخر بأحلام القمر، إني أتوق إلى البحر، وقبّلني بشفتيك المعسّلتين برحيق الفجر، إنّ اللّنج يتذكّر ثغري. وانتشر في جسدي عشقا مثل ظلّك النّدي على رملها الظاميء إلى عرقي تتفكّره عين بودة يوم دفنت فيها برودتي . فإن أدرار لا تسكن قلبي، هاهي بعيدة من أصابعي قابعة في كفّك. فهب لي حنينا لا أنسى به أنّي كنت**

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص25.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

3 **المصدر نفسه** ، ص. ن.

امرأتها. وارسمني أثرا في مصنّفك عنها وشماً أكون حبره وانغز بقلمك لطفا. ثمّ ادع أن يغفر الله لكاتب المصنّف وقارئه ومالكه. وقل (تلك هي المحبّة)"[1].

يتبين لنا من خلال هذه المقاطع أنّ الرّاوي يصف ويعبّر عن مدى حبّه لهذه المدينة (أدرار) وعشقه لها وتعلّقه بها وبكّل تفاصيلها وأجزائها وأماكنها ويدفعه الحنين الجارف لها وتذكّرها.

د- الأنا المسلم المسالم:

برزت "الأنا" في صورة "المسلم المسالم" في هذا العالم، ويظهر ذلك من خلال سلوكات وعادات وتقاليد، وعلاقة هذا "الأنا" بـ"الآخر"، والتزامه بقيم وتعاليم دينه السّامية إذ ورد على لسان الرّاوي (الأنا): **"الدّين المحمّدي روضة الإيمان وطريق المعرفة في العاجلة والنّعيم في الآجلة. وأن أجهر بأنّ نبيّنا هو الخاتم كملت الرّسالات به ووضع القلم في الجنّة "[2].**

فالدّين الإسلامي هو المقوّم الأساسي لـ"الأنا"؛ وذلك باعتماده على الجانب الرّوحي في تقويم سلوك المسلم، فهذا المسلم "الأنا" يحاول تطبيق تعاليم دينه من أجل الفوز بالجنّة والنّعيم.

وما يبرز لنا صورة "الأنا المسلم" في النّص الرّوائي الشّخصيات، ومن هذه الشّخصيات شخصيّة (عثمان بليلو) العربي: **"هنا عاشت مسلمة وأحبّها الناس والمريدون وكرهها أهل دينها السابق. وأبغضها الضبّاط الفرنسيّون "[3].**

يتحدّث (عثمان) هنا عن "ماريا" الرّوميّة التي عاشت مع المسلمين، فأحبّوها رغم الاختلاف الثّقافي والدّيني وهي من صفات المسلم المحب والمسالم.

---

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص 306-307.

2 **المصدر نفسه**، ص31.

3 **المصدر نفسه**،ص 128.

ويقول الرّاوي على لسان (بليلو) "الأنا":" **أنا أحبّ مثلما يحبّ كلّ مؤمن. أحبّ الله والمسيح ومريم وأمثالك والخيّرين**"[1].

فمن صفات المسلم الملتزم أنه يحبّ الله، ويعمل ويجتهد على طاعته وعبادته ومثلما يحّب لنفسه يحبّ لأخيه المؤمن كما جاء على لسان المهلهلين، حيث يقول:" **تزهو حمدًا لله الجميل والصلاة على نبيه الحبيب**"[2].

ويقول أيضا على لسان (بليلو) باعتباره "أنا" مخاطبا (ماريا) التي تجسّد "الآخر": "آ **صلّوا عليه. حبيب مولانا الكريم..**"[3].

يظهر لنا من خلال هذا القول أنّ "الأنا المسلم" هو من يحمد الله تعالى على كلّ شيء ويشكره ويصلّي على النّبي المصطفى "صلّى الله عليه وسلّم".

ويضيف الرّاوي على لسان (الطّيب) واصفاً البتول "الأنا": "**السيّدة البتول امرأة نبيلة** "[4].

وسمها بالنّبل، وهي من صفات المسلم الملتزم، المسامح، الكريم، الصّادق، الأمين.

ويقول أيضا على لسان (بليلو): "**بذلت لهم من العون ليغلغلوا سيطرتهم في قلب الصّحراء وأطرافها، بما أرسلته من وفود الإخوان** "[5].

ويقول أيضا:" **ليهدوا النّاس إلى السّلم والتّعاون** "[6].

نقل لنا الرّوائي صورة المسلم المسالم "الأنا" التي من صفاته السِّلَم والتَّعاون والتّآزر.

---

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص130- 131.

2 **المصدر نفسه**، ص133.

3 **المصدر نفسه** ، ص. ن.

4 **المصدر نفسه**، ص 151.

5 **المصدر نفسه**، ص128.

6 **المصدر نفسه**، ص. ن.

وفي قول (ماريا) التي تمثّل "الآخر" مخاطبة (بليلو) الذي يجسّد "الأنا": **"يسبّح لله ويحمده على نعمة الماء، والتّمر، والقمح، والشّعير، والمال، والاستقلال "**[1].

فـ"الأنا المسلم"؛ إنّما تعود إلى الله تعالى لتشكره وتحمده على كلّ شيء سواء في السّراء أوالضّراء.

ويقول في موضع آخر:" **وفي زواياه سمعت كأن الشيخ الصالح همس لي مشيرا بعصاه: (انظر) فرأيت اكفهرّت والأرض عبست "**[2].

يتّضح لنا من خلال القول أنّ من صفات، وصور "الأنا المسلم المسالم"؛ أنّه صالح، وذا أخلاق حسنة.

وفي موضع آخر يقول:" **ثم ماتوا، كما يموت أسيادهم بعزّ ودفنوا بالمهابة "**[3].

من صفات المسلم عزّة النّفس؛ إذ أنّه لا يذلّ نفسه لـ"الآخر" من أجل مصالحه، بل يموت عزيزاً، ويدفن عظيماً.

ويقول الرّاوي أيضا على لسان (جبريل): "**أنتم إذا صادقتم كنتم مخلصين فتفعلون بقلب"**[4].

ومن صفات "الأنا المسلم" أيضا: الإخلاص، والصّدق، والوفاء، والتّسامح، والمحبّة...

كما يقول الرّاوي أيضا:"**المؤرّخ تلزمه أخلاق العلم بأن يطلب الحقيقة حيثما وجدت وكيفما وصلت، متحرياً الصّدق كابحا العاطفة، مسترشدا بالعقل، ولو تأذّى في معتقده"**[5].

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص 134.

2 **المصدر نفسه**، ص 72.

3 **المصدر نفسه**، ص73.

4 **المصدر نفسه**، ص170.

5 **المصدر نفسه**، ص41.

ومن خلال هذا القول تتّضح لنا مجموعة من مميّزات وصور "الأنا" الملتزم وهي الصّدق، وعلى المسلم التّحلي بالأخلاق الحميدة الحسنة.

ورغم الصّعاب والظّروف التي كانت محاطة بهم، وكذا اختلاف المعتقدات والعادات مع "الآخر"، فهذا لم يمنعهم من تأدية واجباتهم وفرائضهم. وقد برز ذلك في الرّواية:" **ويتظاهرون لهم بالولاء أو يرشونهم ليحيوا يوم الجمعة ويسمّوا باسم الله حين يذبحون طيرا أو حيواناً، وصاموا رمضان متخفّين فان ضبط أولئك المفتّشون أحدا أفطروه عنوة. حتى إذا كان فجر العيد انتشروا حتى يمنعوهم من الصلاة** "[1].

أي أنّهم كانوا يقومون بشعائرهم الدّينيّة خفية عن الضّباط والمفتّشين خوفا من التّعذيب .

إذا فالدّين الإسلاميّ يدعو إلى إقامة الفرائض من صلاة وصوم وحجّ وغيرها، فالمسلم كان ملتزما ومقيدا بقواعد دينيه ولم يخرج عنه رغم الصّراع والعذاب والطّغيان الذي تعرّض له من طرف "الآخر".

ثانيا: تجليّات "الآخر في الرّواية":

يعدّ "الآخر" من القضايا التي تناولتها الدّراسات الأدبيّة؛ لأنّه عنصر فعّال لنستكشف من خلاله مواقفه المتباينة مع "الأنا". لذا فقد سلّطنا الضّوء عليه، ومردُّ ذلك حضوره الواسع في رواية "تلك المحبّة" لـ "الجبيب السّائح".

وتجلّى "الآخر" في ثلاث مواضع: فنجد "الآخر المسيحي"، و"الآخر اليهودي"، وأخيرا "الآخر الفرنسي".

سنحاول التّفصيل في كل واحدة منها على حدا.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبة**، ص 32.

أ- الآخر المسيحي:

جاءت صورته هنا على أنّه ذلك الإنتهازي، الكاذب. الذي انتحل الإسلام واستغلّ طيبة المسلمين فور مجيئه؛ إذ نجد الكاتب ذكر لنا هذا الأمر في الصّفحات الأولى من الرّواية قائلا:"**تلك الطريق التي سلكها إلينا أولئك النصارى، من وهران وأرزيو أو طنجة وفاس إلى تافيلالت أو كرزاز...، ليحطّوا الرحال في تمنطيط قبل عين صالح ثم مجاهل السودان، منتحلين الإسلام مرة مستغلين كرمنا وسماحتنا مشهرين مرة تلك الأسلحة المروعة التي تنفث النار والموت محترقين حصون قلاع رباطنا، فنزيل آثار الألم الذي خلفوه في قلوب أمهاتنا**"[1]. من خلال هذا القول تعرّفنا على المناطق التي تنقّل فيها النّصارى، وكيف كانوا يستغلّون كرم وشهامة المسلمين ليظهروا أبشع مافيهم؛ كإشهارهم للأسلحة في وجوه الأهالي، هذا ماسبّب الذّعر في نفوس الكبار قبل الصّغار.

تظهر كذلك صُورة "الآخر المسيحي" المنافق، والذي جسّده (مصطفى)؛ إذ نسب نفسه للمسلمين بعدما قام بتغيير إسمه. وإثر هذه الواقعة يقول الرّاوي:" **أحكي لك عن واحد منهم تسمى بمصطفى وانتسب إلى الأصل الشريف من بعدما اندس على صاحب العرش في مراكش فأوصى له على ختم منه بمكرمة عندنا واستجارة**"[2]. وقد كُشف أمرُه بعدما أوقعته عبدة في شِبَاكِ حبِّها لتكتشف أنه غير مسلم إذ "**تثبتت بيدها من نصرانيته لما وجدته غير مختون، فما كانت لتشفع له عند قومي حكمته الطبية عرض خدمتها عليهم، ولا التزامه بدخوله الاسلام**"[3] فهذا العبد المسيحي قد انتسب إلى الأصل الشّريف؛ ولكنه لم يلتزم بدخوله الإسلام.

---

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص22.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

3 **المصدر نفسه**، ص22- 23 .

"كان في استجوابه يردّ بكثير من التبصير بأمورنا على أسئلة العلماء اجتمعوا لمحاكمته لولا لُكْنته كانت تفضحه بين حين وحين"[1]. فعند اجتماع العلماء لمحاكمته وطرح الأسئلة عليه، كانت إجاباته تنمُّ على سِعة اطّلاعه حول أمور ديننا الحنيف، فلولا أنّ نُطقه كان يفضحه لما تمّ تكذيبه.

وقبل أن يَصدُر أيُّ حكم في حقِّه **"كان على القاضي أن يعاينه بنفسه فطلب أن يعرى الكافر قبل أن يجذع على نخلة مطرافة ويقتل صبراً فتأكل من دماغه الطيور ويفترس دود النخل بشرته تشبه اليقطين المطبوخ"**[2]. كان القاضي مصداقيّا في حكمه؛ إذ أنّه على الرّغم من وجود شهود على أنّ هذا الرّجل غير مسلم، وقد إندسّ وسطهم، وكذب عليهم، وانتحل اسما ودينا غير دينه، إلاّ أنّ الحكم قد صدر بعدما تأكّد القاضي بنفسه. فكان هذا عقاب يستحقّه.

نجد، أيضا، صورة "الآخر المسيحي" الذي يقوم بتوظيف الدِّين على هواه، وحسب مايتوافق ومصالحه الشَّخصيّة؛ وهذا هو الذي جاء على لسان زوجة (فيليبو)، التي وشت عليه في المحكمة بسبب أنّه اتّخذ هو وأصدقاؤه **"معتقدات الكنيسة تسلية وسخرية. وأنه جاهر معهم بأن البابا لايمتلك أي تفويض إلهي وإنما يحوّل دين الله إليه ليفعل به ما تأمر به نزواته. وبأن تلك**

المجسمات التي تملأ الكنائس ليست سوى لُعب لاتستهوي الصبيان. فاتهموه بالكفر وأدانوه بإشعال نار الفتنة وإحداث صدع في وحدة الصليب وتشتيت شمل المسيحيين"[3] نقل لنا كلام (فيليبو) الصّورة الحقيقية التي كان البابا يخفيها خلف القناع الذي يرتديه، والذي كان يستغلّ إسم الدّين لِيُلَبِّي رغباته المختلفة، وأنّ التّماثيل التي تملأ الكنيسة هي مجرّد ألعاب لاتستهوي حتّى الأطفال.

بسبب هذا الكلام تمَّ عقابه بأبشع الطّرق إذ **"نفّذوا فيه حكمًا بالشنق والحرق. وصادروا ممتلكاته. وحرموا ذريته من كل مايتمتع به مسيحي. ونبشوا قبر أبويه وأضرموا النار في رفاتهما**

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص 23.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

3 **المصدر نفسه**، ص32.

تطهيرا لهما من نجاسة مروق خلفهما"[1]؛ فـ"الآخر المسيحي" هو ذلك المتوحِّش الذي لايملك لارحمة ولاشفقة؛ إذ لم يكفهم شنقه وفقط. وإنّما قاموا بحرق جثّته الهامدة وصادروا كلّ ما يملك، ونال أبناؤه العقاب جرّاء فعلته هذه. وحتّى والديه اللّذينِ كانا تحت الثُّرى تم إستخراجهم وحرقهم. إذ لم يَرْحم لا الحيَّ ولا الميِّت وحرمته. وهذا يدلُّ على همجيّة "الآخر" الذي عارٌ له أن يكون من فصيلة البشر؛ لأنّ أفعاله ليست بأفعال إنسان، وإنّما أفعال شياطين.

"الآخر المسيحي" رمزٌ للنّفاق والخداع والطّمع والجشع؛ إذ أنّ النّدالة تمشي في عروقهم. وهذا مانجده من خلال فعلته هذه إذ **"أرسلوا مبشرين متنكرين بدين المسلمين ليرسموا طريقا لجيوش عدوانهم تدنس الرمل وتقتل النفس وتقطع البنت وتغتال الأنعام"**[2]. فقد قام بتهيئة طريق حتى يدخل العدوّ للبلاد، ويقوم بإغتيالها وإفسادها وتخريب كل خيراتها الحيوانيّة والنّباتيّة، وقتل كل نفس بشرية فيها.

مما سبق يمكننا القول، أنّ صورة "الآخر المسيحي" في كلّ هذه الشّواهد التي سُقْناها لكم؛ جاءت مليئة بالخيانة والخداع والجشع، والإنتهازيّة والهمجية؛ إذ كان يرى نفسه هو السيّد وسائر الخلق عبيد عنده، فهو رمز للقتل والتّخريب والإجرام.

ب- الآخر اليهودي:

كان لـ "الآخر اليهودي" حصّة من هذه الرّواية؛ والمعروف عن اليهود اعتقادهم أنّهم شعب يمتاز بالتّفوق عن كل شعوب العالم بما فيهم المسلمين. إذ كان تعاملهم معهم وفق هذا المبدأ مما انجرّ عنه عنف وعدوانية واستعلاء. ففي رواية "تلك المحبّة" جاء "الآخر اليهودي" المختلف كل الاختلاف عن "الأنا المسلم" في الدّين والمعيشة، والعادات والتّقاليد وحتى الهويّة. وهذا ماقامت بتصويره رواية "تلك المحبّة".

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص32.

2 **المصدر نفسه**، ص21.

"لم أكن قادرا على أن أهمس أن الدين المحمدي روضة الإيمان وطريق المعرفة في العاجلة والنعيم والآجلة. أو أن أجهر بأن نبينا هو الخاتم كملت الرسالات به ووُضع القلم في الجنة"[1]. هذا ماجاء على لسان والد الفتى (محمد)، إذ نقل لنا قوله هذا أنّ "الآخر اليهودي" كان رافضًا لمبدأ الحريّة العقائدية؛ إذ أنّ كل من ينتمي للدّيانة المحمّديّة لايستطيع الجهر بأحقيّة هذا الدّين، أو حتى الاعتراف به.

واصل حديثه قائلا **"أو أستغفر الله إلا في قلبي خشية أن يرى قُفاة من اليهود المرتدين على شفتي أثرا من ذلك"[2].** فحتّى تسبيحهم لايكون إلّا في قلوبهم؛ خشية أن يتمكّن أحد المرتدّين من قراءة شفاههم، فالذّعر الذي سبّبه "الآخر اليهودي" لـ "الأنا المسلم" طال كل كبيرة وصغيرة، فحتّى الاستغفار أصبح ممنوعًا عليهم.

قيَّد الآخر اليهودي حريّة "الأنا المسلم" ووضعهُ في علبة مغلقة ومظلمة، لايتمكَّنُ بسببها تطبيق طقوسه الدّينيّة لا على ذاته وهو حيٌّ يرزق. ولا على أمواته إذ **"زرعت الكنيسة عيونا لها وآذانا تتسقط أخبارنا بالوشاية إن كان نستقبل القبلة أو نغسل ميتنا ونكفنه في الأبيض وندفنه في أرض بكر وجهه مولّى إلى الكعبة"[3].** فالمحزن في الأمر؛ أنَّ المسلم وهو حيّ غير مرتاح، وهو ميّت نفس الشئ.

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص31.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

3 **المصدر نفسه**، ص 31- 32.

واصل الكلام معه قائلا أنّه **"يوم طاردوك وأنت صبي ليكشفوا عن عورتك أنقذك قس من خوارجهم متنكرا لهم بمذهبهم فأنجاني من العقوبة بك، لأني كنت ختنتك منذ عام. لذلك هرّب بن ميمون جارنا اليهودي ابنه إلى تلمسان ليختتن"**[1]. كان الصّغار من أبناء المسلمين يفرّون من "الآخر اليهودي"، لأنّه يقوم باللّحاق بهم ليكشف عن عورتهم حتى يتأكّد من معرفة ديانتهم؛ إذ كان الأب المسلم يفرُّ بابنه إلى المدن المجاورة حتى يقوم باختتانه. وإذا كُشِفَ أمرهم يطالهم العقاب.

كثر المرتدّون عن دينهم وكثرة معهم الوشاية في حقِّ المسلمين؛ فكلُّ من أوشيَ به يُجرَّدُ من ثيابه ويجلد ثمَّ يسجن. فوالد "محمّد" كان من الذين أوشي بهم إذ قال عن هذا الأمر أنّه **"إذا وقعت بين أيديهم بوشاية من مرتد نزعوا عني ملابسي البيضاء وأحرقوها ثم جلدوني وسجنوني اليوم كله"**[2]

جاء على لسان جد الفتى (محمّد) المتوفّي الذي زاره في المنام، وأخبره عن سبب موته؛ أنّه أُوشِيَ به من قِبَل يهودي فتمَّ قتله وحرقه **"أنا جدك الذي وشى به مرتد يهودي فشُنقتُ وأحرقت"**[3]؛ لم يكن هذا حال الجدِّ فقط، وإنَّما حال كل من ينتمي لدين الإسلام؛ إذ يعذّب ويشنق ويحرق.

نقلت لنا أيضًا الرّواية صورة "الآخر اليهودي" الغادر والخائن، النّجس والكاذب؛ من خلال إيراده لحادثة الرّجل الذي صلَّى بالمسلمين وهو على غير طهارة **"أحد الذميّين وصلت به الجرأة أن نصّب نفسه إماما في أحد القصور وصلّى بالمسلمين نجسا ردحا بالعمد والنكاية"**[4]. ففِعْلَتُه هنا تدلّ على كرهه الشّديد للإسلام والمسلمين؛ لأنّه يدرك أن الشّعائر الإسلامية وبخاصّة ركن الصّلاة مهم جدّا لدى المسلمين.

يقول الرّاوي على لسان (أرنود) الذي كتب رسالة لزوجته (لويز) يُطَمْئِنُهَا عن حالِه، ساردًا لها عمَّا رأتهُ عيناه. إلى أن وصل لوصفه لطريقة تعامل اليهود مع الأتراك الموجودين في الجزائر قائلا

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص32.

2 **المصدر نفسه**، ص32- 33.

3 **المصدر نفسه**، ص33.

4 **المصدر نفسه**، ص46.

"عزيزتي، كنت أرى هؤلاء اليهود يركعون ليلثموا أقدام جنودي وأيديهم. ثم يروحون منهالين بالضرب على من صادفوه من الأتراك"[1]. في هذا القول ظهرت حقيقة "الآخر اليهودي" الجبان، الذي يفرض قوّته على الضّعفاء من المسلمين.

ممّا سبق يمكننا القول أنَّ صورة "الآخر اليهودي" جاءت؛ مليئة بالكره والحقد على "الأنا المسلم". فهو (الآخر) ذلك النَّجس، الخائن والحامل لكل الصِّفات الذّميمة؛ إذ مارس كل أنواع الإضطهاد على المسلمين.

ج- الآخر الفرنسي:

رصد الكاتب من خلال هذه الرِّواية صورة "الآخر الفرنسي"، وممارساته الوحشيّة والهمجيّة في حقّ الشّعب الجزائري؛ من قتل ونهب وسرقة وحرق وتدمير للبنيان، وغيرها من أفعال لايتصوّرها العقل.

صوّر لنا الكاتب الحادثة التي وقعت لـ (بليلو) في مدرسته ببشّار مع أحد الفرنسيّين. إذْ **"عيّره الفرنسي بالعبد الحقير وبصق له في صحن طعامه"**[2]. فما كان من (بليلو) إلاّ أن يَرُدَّ عليه إذ جرحه **"جروحا كثيرة في وجهه"**[3]. فعلى الرّغم من أنّه لم يكن هو المذنب، وكان تصرّفُه هذا عبارة عن ردّة فعل منه لِما لحقه من إهانة وظلم. إلّا أنّه طُرِد من المدْرَسة.

"(لاحقوهم!) كان الفزع العظيم. وكانت أجساد من كل الأعمار تجري في الأزقة الضيقة في هلع"[4]. صَوَّرَ لنا هذا القول الذي قاله (مارسيل أرنود) الهلع الذي تسبّب فيه هو وجنوده في

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص188.

2 **المصدر نفسه**، ص75.

3 **المصدر نفسه**، ص.ن.

4 **المصدر نفسه**، ص166.

أوساط المسلمين، فقد كسر سكينتهم وراحتهم. إذ فرّ الجميع ناجين بحياتهم بحثا عن مكان يختبئون فيه.

واصل قائلا "(**اسحقوهم!**) **فعوى الموت من آلات عسكره النارية. خضّب أطفالٌ ونساء وشيوخ وعجائز الرملَ بدمهم فيما هرب الناجون عبر سراديب سرية**"[1]. إذ أراد القائد (أرنود) من جنوده، أن يزهقوا كلّ نفس كبيرة أو صغيرة كانت، رجلًا أو امرأة. حتّى المصطلحات التي كان يستعملها في حقّ المسلمين، تبعث الاحساس أنّهم يتكلّمون على حشرات وليس على أُنَاس؛ وهذا إن دلّ على شئ فإنّما يدلّ على الاستعلاء الذي يشعر به "الآخر الفرنسي" إتّجاه "الأنا المسلم"، وهو شعور بالدّونيّة.

"**حتى إذا رجعت النساء وقفت كل واحدة منهم على جثة. وأنشدن مناحة للعاصفة. بينما كانت إحداهن قعدت تحت سور القصبة بين قتيلين ومدت يدها فمسّحت على وجه بعلها المضرّج بالدم ودهنت به وجنتيها. وبيدها الثانية حرّكت صدر صبيها فلم يفتح عينيه. فرفعت إلى السماء وجهها. وبحفنتيها راحت ترمّل شعرها**"[2]. فهذه الواقعة هبّت عليهم كالعاصفة؛ دمّرت كل من حولها، وكل من وجدته في طريقها.

ف "الآخر الفرنسي" المجرم قتل الرِّجال، ورمَّلَ النِّساء. حتى الأطفال رمز الربراءة كان جزاؤهم القتل. كلّ هذا قام به بدون رحمة ولاشفقة.

"**أمرت ضباطي بالإشراف على تدمير بعض تلك الآثار وتحويل بعضها لأغراضنا العسكرية والدينية أيضا**"[3]. هذا الكلام الذي صدر من القائد (أرنود) جسَّد لنا بوضوحٍ كره وغُلْ "الآخر" الذي يكنُّه لـ"الأنا الجزائري". فقراره لتدمير الآثار، وتحويلها لثكنات عسكرية جاء بعدما ذُهِل

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة** ، ص166.

2 **المصدر نفسه**، ص166-167.

3 **المصدر نفسه**، ص186.

(مارسيل أرنود) وجنودُهُ بجمال طبيعة وآثار الجزائر. إذْ **"الدهشة كانت بادية على وجوه جنوده تكاد تنسيهم مأمورية حملتهم على ضواحي الجزائر وهم يكتشفون القطع الأرضية المربعة والمستطيلة المزروعة قمحا وعلفا، وبساتين الزيتون والبرتقال والتين، وحدائق الورد، والديار البيضاء ذات السطوح القرميدية في الأعالي...شئ ياعزيزتي لايرى إلا في حلم!"**[1].

غيرة "الآخر الفرنسي" من جمال الجزائر دفعته إلى تخريبها وتدميرها، فعندما **"دخلوا وهران وجدوها مدينة عامرة بالديار والحدائق والمساجد والقصور. كلها ذات عمارة بديعة وزخرفة زاخرة بالنعمة. فأعملوا فيها الخراب فصارت حطامات وأطلالا"**[2]. هذا القول نقل لنا صورة وهران قبل وبعد مجئ "الآخر الفرنسي" المدّر.

تحدّث الكاتب عن الكره والبغض والحقد، الذي يحمله "الآخر" لـ "الأنا الجزائري"؛ من خلال قول القائد **"كنت أريد أن أراهم يكسرون كبرياء الهمجيين"**[3]. إذ أنّ عزّة نفوس الجزائريين جعلت من (أرنود) ميّتا بغيضه، ففعل المستحيل كي يقضي على هذه العزّة؛ فنجده أمر الجنود قائلا لهم **"أئتوني بالرؤوس. لن أحاسب أحدًا بغير الرؤوس"**[4]. فهذا القائد مثال حيٌّ لـ"الآخر" الظّالم، وغير المسالم، والذي لايعرف معنى الرّحمة، فكل مايعرفه القتل والتّدمير فقط.

يتلذَّذ "الآخر" برؤية الجرحى والموتى، وبرائحة الخوف والفزع والدَّمار؛ وهذا ما جاء على لسان العجوز (بنت غزالة) واصفة بشاعة المنظر قائلة **"بكت تلك الاميرة دما لما رأت باشاغاوات وأغوات وكبار من العلية بالنياشين على صدورهم جنب القائد يستعرضون المقتولين من الأسرى؛ منهم من ربطت أرجلهم وأيدهم إلى الأعمدة. ومنهم من تدلت أجسامهم من المشانق. كان فيهم**

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص185.

2 **المصدر نفسه**، ص186.

3 **المصدر نفسه**، ص.ن.

4 **المصدر نفسه**، ص.ن.

أولياء ومرابطون وفقهاء وأعيان ومعلمون ونساء وفتيان وشيوخ مبجلون وأشخاص غير مميزين"[1]. فهو لم يترك لا المواطنين العاديين ولا أشراف المدينة، فقد ألحق الضّرر بالجميع؛ وهنا تظهر فضاعة وشراسة "الآخر" في التّنكيل والقتل. ولأنّهم همج ووحوش؛ كانوا حاملين لجثث الأسرى بكلِّ فخرٍ وسعادة.

"نحن لاننقل إلى الهمجيين أسلوب تمدُّنٍ فحسب ولكن حضارة كاملة من العقل"[2]؛ هذا الكلام من بين ما كتبه (أرنود) لزوجته، والذي بيَّن من خلالها أنَّ "الآخر" يرى نفسه المتحضِّر والمتطوِّر، وأنَّ رسالته نشر التمدُّن والتَّقدُّم في الأمم التي تُعَدُّ بالنّسبة له، متخلِّفة وهمجيَّة، ومتوحِّشة.

يقول أيضا أنّه قد **"اختارتنا العناية لتمدينهم"**[3]. ولأنّ "الآخر الفرنسي" منافق وكاذب، نجد أنَّ كلامه هذا فيه تناقد كبير وهذا مابدا لنا في رسالته التي كتبها لزوجته قائلا **"لكني أشعر بالخجل المهين وأنا أسجل هذه الحقيقة: فقد تركت وراء البحر جهلا ينهش الناس وأمية تبلدهم لأجد هنا هؤلاء القوم يتقنون القراءة والكتابة والحساب، ولهم جوامع ومدارس ومكتبات لا تحصى"**[4]؛ هذا الكلام دليل قاطع على أنَّ؛ "الآخر الفرنسي" هو الجاهل والبليد، والهمجي والمتوحِشْ. أمّا "الأنا الجزائري" فمثقَّف ومتعلِّم.

سبّب الغزو الفرنسي للمواطنين الرُّعب والدَّمار؛ فبعدما ضاقت بهم السُّبُل اختبأوا في المغارات ظنًّا منهم أنّها مكان آمن يحميهم ويحمي أطفالهم. ولكن "الآخر" لحق بهم وقام بحرقهم وهُمْ على قيد الحياة، بنسائهم وأطفالهم وغنائمهم. إذْ نجد الجندي يروي الحادثة قائلا في ذهول **"كنت أرى في عمق الليل المقمر جنودنا أمام مدخل المغارة كالنمل يسعّرون نارا من جهنم. ولم أعد أسمع سوى أنين رجال أخرس متقطعا ونواح نساء يمزقه صراخ أطفال ودمدمة حيوانات وقضقضة صخور**

1 **الحبيب السائح**، تلك المحبة، ص187.

2 المصدر نفسه، ص ن.

3 **المصدر نفسه**، ص186.

4 **المصدر نفسه**، ص185.

مصلية. وقفت بعد يوم لأعاين فصدمه فصدمتني الفظاعة: ثمانمائة روح كلها أحرقت بالنار! حتى الأبقار تفحمت. كان منظر الحظامات مرعبا"[1]. خلّفت هذه المجزرة في يوم واحد فقط ثمانمائة قتيل، فما بالك بعدد القتلى طول الفترة التي قضاها "الآخر الفرنسي" في الجزائر.

اعترف (جبريل) لـ (مبروكة) بالجرائم التي اقترفها عائلته في السَّابِق إذ يقول **"جدي مارسيل وقبله أبوه وقبلهما جدي الأول، الذي نزل في شاطئ بحر هذه الأرض، قتلوا وشرّدوا أناس آمين في بلدهم"**[2]. فهذا الاعتراف الذي أَزْدَى به (جبريل) بيَّن ظلم وطغيان "الآخر"، الذي حطَّم ودمَّرَ وقتل واغتصب، وشرَّدَ أُناس أَبرياء كانوا يعيشون حياة رغدة، إلى أن جاءهم "الآخر" ليقلِبَ فرحتهُم حزْنًا، وطمأنينتهم إضْطِرابا، وحياتهم موتًا. فكل الصّفات المنْحطّة التي يملِكُها "الآخر الفرنسي"، هي متوارثة أبًا عن جدْ.

إتَّبع "الآخر" المعتدي في حربه هذه وسيلتين رئيسيتين؛ هما السّيف؛ من خلال القتل والنّهب. واللِّسان؛ من خلال إذلال الجزائريين وإهانتهم، وإتّباع العنصرية في التّعامل معهم. وهذا ما جاء على لسان العجوز (بنت غزالة) إذ قالت عن "الآخر" الذي مرّ ببلادنا؛ أنّهم أينما حلُّوا **"ينشرون الظلم والطغيان بالسيف واللسان"**[3].

فـ "الآخر" يرى أنّه العفيف النّظيف، و"الأنا المسلم" هو النّجِس والهمجي والمدنّس. وهذا ماجاء على لسان القائد (أرنود) الذي أمر ضابطه قائلا **"لن تلّطخ القذارة يديك أن أقدّم جنودك على تدنيس مزارات، أولئك الهمجيين ونبش مقابرهم وهتك بعض أعراضهم ونهب ممتلكاتهم**

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص189.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

3 **المصدر نفسه**، ص184.

وتخريب بيوتهم"[1]. فهو ذلك المعتدي الوقح والمُهْتِك للأملاك والأعراض. والذي ينظر لـ"الأنا المسلم" نظرة يملأها التّعالي والإشمئزاز.

نجد القائد (أرنود) يقول مُطَمْئِنًا زوجته **"لكني أخبرك أن غنائمنا فاقت كل توقع. فإني جمعت ضباطي وأعلنت إليهم أنهم موعودون بما هو أعظم مما غنموا اليوم كلما وسعوا مجال حملتنا ونشروا سلامنا."**[2]. تعبيره عن إنتصاره هنا، يبعث للّنفس الإحساس أنّ المتكلّم حيوان جائع يبحث ويحصُد الفرائس. وليس إنسان يفتعِل المجازر كلّ يوم.

كلّفت أفعال "الآخر الفرنسي" الجزائر خسائر بشريّة وحيوانيّة، وماديّة ضخمة، إذْ استعمل كل الطُّرق التي لا تخطر على بال أحد، وكأنّه وحش لا ينتمي لفصيلة البشر. وهذا ما وصفت به (مبروكة) (جبريل)، بعدما قرأت الأفعال التي إقترفها في حقِّ الشَّعب الجزائري قائلة **"له ملامح من وجه مخلوق وحشي يرتدي حلة إنسان ليس له قلب ينبض بدم البشر"**[3].

يرى "الآخر الفرنسي" نفسه؛ أنّه العفيف النّظيف، و"الأنا المسلم" هو النّجِس والهمجي والمدنّس. وهذا ماجاء على لسان "الآخر" آمرًا ضابطه **"لن تلّطخ القذارة يديك أن أقدّم جنودك على تدنيس مزارات، أولئك الهمجيين ونبش مقابرهم وهتك بعض أعراضهم ونهب ممتلكاتهم وتخريب بيوتهم"**[4] فهو ذلك المعتدي الوقح والمُهْتِكْ للأملاك والأعراض.

1 **الحبيب** السائح، تلك المحبة، ص186.

2 المصدر نفسه، ص ن.

3 **المصدر نفسه**، ص190.

4 **المصدر نفسه**، ص186.

ممّا سبق يمكننا القول أنّ صورة الآخر المسيحي أو الفرنسي أو اليهودي، جاءت بشعة بشاعة لا توصف؛ إذ خرَّب وأحرق وشرَّد العائلات، ودمَّر البنيان، وأذى الحيوانات، وقتل الرّجال، ورمَّل النِّساء، ويتَّم الأطفال. فلم يترك شيئا لم يلحق به ضرر. فقد أذى "الأنا المسلم" ماديًّا ومعنويًّا؛ فحتى شعائره ومُسَلَّمَاتُهُ الدِّينِيَّة طالتها نجاسته المعروف بها.

الفصل الثّاني:

العلاقة بين "الأنا" و"الآخر"

في الرّواية

أ- علاقة صراع

ب- علاقة تسامح

تمهيد:

الحديث عن "الآخر" يعني اكتشاف الذّات، وعلاقة هذه "الذّات" مع "الآخر" سياسيا واجتماعيا وحضاريا وثقافيا. وهذه العلاقة قائمة على أساس أنّ "الذّات" هي المكوِّن الأساسي في حركة الفكر والثّقافة بشكل عام، وهي الأصل، وهي الصّواب. و"الآخر" هو مجرد ظلّ لهذه "الذّات" وفرع عنها، وهو الخطأ لكلّ تصوراتها.

وتظلّ العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" علاقة جدليّة، فقد تكون "الأنا" على حساب "الآخر" أو إلغاء "الآخر" لصالح "الأنا". وهذه العلاقة قائمة على التّضاد. والصّراع بينهما طويل يرتدّ إلى البدايات الأولى لوجود الإنسان. والعلاقات الإنسانيّة بطبيعتها قائمة على أساس التّغاير والتّمازج؛ لأنّ كلاهما غرضه الرّئيسي مصالحه الذّاتيّة والاعتبارات الخاصّة، التي قد تقترب أو تبتعد من مصالح الآخرين واعتباراتهم الخاصّة .

من المعروف عن العلاقة التي تربط "الأنا" و"الآخر"؛ أنّها علاقة تحتّم على كلّ منهما إقصاء الآخر وإنكار حقّه في الوجود، فوجود أحدهما يقضي إقصاء الآخر؛ لما يحملونه من قيم متعاكسة إذ لا توجد أي نقطة التقاء بينهما وهذا ما يؤدي إلى انعدام الثّقة وتولّد الشّعور بالعداوة.

أ- علاقة صراع:

نستهلّ الكلام بأنّ **"الآخر يبقى عدوانيًا، بدرجة أولى، إذ (لاتوجد علاقة بالآخر إلا قاعدة غالب ومغلوب. وبدون هذه القاعدة يضمحل الآخر ويصبح عدمًا، وإلا حرم نفسه من مادة غلبته) "**[1]. فمهما وجدنا علاقة تسامح، أو علاقة تصالح وتعايش بين كلٍّ من "الأنا" و"الآخر" تبقى حالات نادرة وشاذّة؛ لأنّ الغالب على هذه العلاقة هو الصّراع الذي بدأ منذ الأزل إلى غاية اليوم. وسنحاول التّفصيل أكثر عن هذه العلاقة والتي وجدناها بكثرة في روايتنا هذه.

اتّسمت علاقة المسلمين باليهود عامّة بنوع من النّفور والتّوتر والمشاحنة في البداية، وأخذت تتمايز وتختلف من تسامح وتعاون وتآزر مرّة، وكراهيّة وصراع وعداوة مرّة أخرى. وهذا يدلّ على وجود صور معقّدة عن العلاقة مع "الآخر" فإمّا أن يكون الآخر صديقاً أو عدوّاً.

وفي رواية "تلك المحبّة" لـ"الحبيب السّائح" تظهر لنا رؤى مختلفة لتلك العلاقة، حيث قدّمت أشكالا متعدّدة عن العلاقة التي جمعت "الأنا" بـ "الآخر" إذ يمكن رصدها على النّحو الآتي:

المعروف عن العلاقة التي تربط "الأنا" و"الآخر"؛ أنّها علاقة تحتّم على كلّ منهما إقصاء الآخر وإنكار حقّه في الوجود، فوجود أحدهما يقضي إبعاد الآخر. لما يحملونه من قيم متعاكسة إذ لا توجد أيّ نقطة التقاء بينهما وهذا ما يؤدّي إلى انعدام الثّقة بينهما فيتولّد الشّعور بالعداوة.

وهنا تتشكّل رؤية "الآخر" لـ "الأنا" في حالة اللّقاء السّلبي؛ من خلال تهميش "الأنا" واحتقارها باعتبارها "الأنا" المتخلّفة التي تحتاج إلى من يقودها. والإعلاء من قيمة "الآخر" المسيطر باعتبار أنّه عدو مباشر وأحد أسباب مأساة "الأنا"، ممّا أدّى إلى سيطرة مشاعر التّفوّق لدى "الآخر" على حساب "الأنا"، وهذا ما نتج عنه علاقات عدائية تقوم على الصّراع بينهما مما يؤدّي إلى تشكّل صورة سلبية عن "الآخر".

وقد تجلّت علاقة الصّراع لهذه الثّنائيّة في عدّة مشاهد ومقاطع سرديّة داخل الرّواية، وهي كثيرة ومن أمثلتها حين دعا (محمد التّلمساني) الرّجل المسلم علانيّة إلى الجهاد ضدّ الكفّار:" **فدعا في**

1 الطّاهر لبيب، **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه**، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، ط1، 1999، ص22.

العلانية إلى الجهاد لإخراج الكفرة من أرض الإسلام كما أخرجوه هو وأهله، لا يعنيه شأن ملّتهم"[1].

فيظهر لنا في هذه الحالة؛ أنّ "الأنا" المسلم يحاول بكلّ ما أوتي من قوة؛ إخراج الكفّار من أرض المسلمين والجهاد في سبيل الله، فـ"الأنا" تحاول الدّفاع عن نفسها وعن دينها، وتحصينها خوفا من طغيان "الآخر" وسيطرته.

ومن المعروف أنّ علاقة "الأنا" بـ "الآخر"؛ علاقة قديمة تشكّلت مع ظهور الإسلام. فتظهر طبيعة هذه العلاقة في مظاهر الخوف والصّراع وعدم الاستقرار، ذلك أنّ كلُّ طرف منهما رافض للآخر رفضا تامًّا.

فقد جاء على لسان الفتى (محمد) أنّه تمثّل أباه ناجياً فقال: **"لم أكن قادرا على أن أهمس أنّ الدين المحمدي روضة الإيمان وطريق المعرفة في العاجلة والنّعيم في الآجلة أو أن اجهر بأنّ نبينا هو الخاتم، كملت الرّسالات به ووضع القلم في الجنّة أو أستغفر الله إلا في قلبي خشية أن يرى قفاة من اليهود المرتدّون على شفتي أثرا من ذلك"[2].**

وهنا تتبيّن كميّة الرّعب الذي زرعها "الآخر" في "الأنا" المسلم؛ فهو لم يكن قادراً حتّى على التّصريح والتّعبير والفصح عن الدّين الإسلامي. أو الجهر بإتّباعهم لسنّة النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، خوفا من اليهود المرتدّين؛ الذين كانوا يمارسون شتّى أنواع التّعذيب في حقّ كلّ من كان يجهر بأنّه مسلم.

ومنطقياً يستحيل أن يحدث تعايش وسِلْمَ على أرض واحدة تجمع كلّ من "الأنا" و"الآخر"؛ لأنّه غالبا ما يحدث توتّر وصراع وحساسية ونفور بينهما، بخاصّة إذا كان كلّ منهما يحمل دين وثقافة، وفكر، وعادات مغايرة وبعيدة كلّ البعد عن ما يحمله الآخر من إيديولوجية، وبهذا يوضعان أمام معادلة السيّد والعبد.

---

1 الحبيب السائح، **تلك المحبة**، ص35.

2 **المصدر نفسه**، ص31.

كما يقول الرّاوي أيضا:" **وقد زرعت الكنيسة عيونا لها وآذانا تتسقّط أخبارنا بالوشاية إن كنّا نستقبل القبلة أو نغسل ميتنا ونكّفنه بالأبيض وندفنه في أرض بكر وجهه مَولّى إلى الكعبة"**[1].

وهنا يظهر لنا حرص الكنيسة الكبير على إدخال المسلمين إلى الدّين المسيحي عنوة؛ مستخدمة في ذلك شتّى طرق التّعذيب والتّنكيل، كما كانوا يتجسّسون أيضا بإرسال عيونهم وآذانهم خفية، للتّجسّس على المسلمين، إذا ما كانوا يقومون بطقوسهم الدّينيّة لكي يُسْقِطُوا عليهِم العذاب بشتّى أنواعه.

وجاء على لسان الرّاوي أيضا: "**إذا وقعت بين أيديهم بوشاية من مرتدّ نزعوا عنّي ملابسي البيضاء وأحرقوها ثمّ جلدوني وسجنوني اليوم كلّه"**[2].

فهو هنا يتحدّث عن ما قد يحصل له إذا ما كُشِفَ أمره للمسيحيّين، وعرفوا بأنّه مسلم ووقع بين أيديهم وما قد يفعلونه به؛ من حرق لملابسه وما يمارسونه عليه من تنكيل وجلد وسجن وتعذيب بشتّى أنواع الطّرق.

ويقول الرّاوي أيضا على لسان (محمد التلمساني) مؤكداً العلاقة بين "الأنا" و"الآخر": "**أنظر هؤلاء الأطفال والنّساء والعجزة في السّاعة إنّما حشرهم أبناء إيزابيلا ليخيّروهم بين الكفر لمحمديّتهم علنا والتّثليث ولبس الصلبان وبين الشنق والحرق"**[3].

يتّضح من خلال هذا القول أنّ العلاقة بين "الأنا" المسلم و "الآخر" المسيحي؛ قائمة على الصّراع، وذلك لاختلاف ديانتهم ومعتقداتهم، فـ "الآخر" يُخيّر "الأنا" المسلم بين الكفر والدّخول للمسيحية أو الشّنق والحرق. ولا يهمّهم الأمر إن كان هذا "الأنا" امرأة أو طفلا صغيرا أو عجوزا مسنّا، فتعاملهم يكون وفق ديانتهم لاغير.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبة**، ص31- 32.

2 **المصدر نفسه**، ص32- 33.

3 **المصدر نفسه**، ص 33.

وجاء على لسان الرّاوي أيضا قوله:" **وبرغم ذلك كنّا قد أقمنا لأختك مناحة في الحوش الخارجي، مدّعين وفاة جدّك الذي كان قادرا على حبس أنفاسه مدّة طويلة مثلما علّمته البحار، لو كانوا جاؤوا ليعاينوا خدعتنا. وفي الدهليز عقدنا لها القران مع ابن عمّها على الشّريعة المحمّدية**"[1].

أي أنّهم كانوا يستخدمون الخدع لكي لا يُكْشَف حقيقة دينهم الإسلامي، فحتّى أفراحهم كانت تقام خِلْسةً، خوفا من أن يكشف أمرهم، وهذا القول يبرز لنا مدى تحمّل المسلمين وتصدّيهم للمسيحيين من أجل الحفاظ على شعائرهم الدّينيّة وتطبيقها كما يجب، وفقا للنّهج المحمّدي.

ويواصل قوله:" **كنّا نستطيع أن نذهب إلى الكنيسة لنفعل ذلك ثمّ نعيد القران بالشهادة وقراءة الفاتحة .لكن جدّك أبى. فأخرج أخوك الأكبر عودا خبّأه داخل حفرة في الجنان وعزف موشح جادك الغيث رددناه جميعا. ولمّا اكتشف أمرنا كنّا هربنا.ففتشوا ونبشوا وكسّروا**"[2].

كان المسلمون يستطيعون الاحتيال على المسيحيين بالعديد من الطّرق، حتّى بطريقة الذّهاب للكنيسة والتّمثيل أنّ الزّواج قد تمّ وفقا للطّقوس الخاصّة بالدّيانة المسيحية؛ لكن عزّة نفس "الجد" ومله من طغيان "الآخر"؛ جعلته يرفض هذا الأمر. وأخَذَ قرار القيام بعرس يتماشى والدّين الإسلامي ووفق عادات وتقاليد أسلافه.

فـ "الآخر" كان يتدخّل في كلّ شئ يخصّ "الأنا" المسلم إذ كان دائما يعكّر لهم سعادتهم، فالخوف كان معهم في كلّ خطوة يخطونها.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص33.

2 **المصدر نفسه**، ص. ن.

وقد جاء على لسان إحدى الرّاهبات: **"يتشابه عليّ بفتى فارس يقال له حسن قطع الموج من بلاد الأندلس إلى مراكش ثم ركب البحر فأسرته النصارى وردّته إلى دينها فما نام إلا وقف عليه أبواه فذكّراه بالشهادة وعلى وجهيهما كلوم وعلى ثيابهما البيض دماء"[1].**

أَجْبَرَ "الآخر" المسيحي (محمّد التّلمساني) على الدّخول إلى الدّين النّصراني، وبالفعل حدث ذلك إلا أنّه سرعان ما استفاق، بعدما راوده الفزع حين رأى والديه في المنام. وذكّراه بالشّهادة وبدين الإسلام، فنتج عن هذا علاقة صراع واختلاف في الدّيانة، فكلّ طرف مقتنع بأنّ الطّريق التي يسلكها هي الطّريق الموصل لدين الحقّ.

وتقول إحدى الرّاهبات في موضع آخر:**"من حقّنا أن نتشكك في تعميده، ومن واجب الكنيسة إن مات أن تتحفظ على دفنه في المربّع المسيحي"[2].**

تظهر لنا العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" مجسّدة في شكّ المسيحيّين، بأنّ واحدا منهم ارتدَّ على دينهم، وأصبح مسلماً، وذلك لتأثّره بالمسلمين وبلادهم.

ويقول الرّاوي على لسان (عثمان) وهو يحكي لـ (بليلو) أنّه: **"نفاه النصارى إلى بلادهم عقابا له على حلف جهاد كان له مع الشيخ بوعمامة .فعقدت العناية، بينه وبين من سيحبّها، خيط التّلاقي فعرفها وعرفته"[3].**

نفى النّصارى (عثمان) إلى بلادهم؛ عقابا له على جهادِه مع الشّيخ (بوعمامة) اذ من خلال هذه الواقعة ندرك؛ أنّ هذا الصّراع متجذّر في "الآخر" إذ كرهه وعدائه لـ"الأنا" جعله يركّز معه في كلّ صغيرة وكبيرة يقوم بها.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص43.

2 **المصدر نفسه**، ص 199.

3 **المصدر نفسه**، ص 127.

كما تعدّ أيضا محاكم التّفتيش التي أقامها المسيحيّون في الأندلس بعد الانتصار على المسلمين، وإخراجهم منها. من إحدى الوسائل التي استخدمها "الآخر" في نشر ديانته؛ متّبعين كلّ الطّرق الغير سلمية من أجل تحقيق غاياتهم؛ من أبرزها: القهر والظلم والوحشيّة، الاغتصاب الانتحال والاحتيال، وكلّ المظاهر السّلبية التي جسّدتها الرّواية.

ومن أمثلة ذلك قول الرّاوي "الأنا" واصفا تصرّف "الآخر" في حقّه؛ حين يجده لا ينتمي إلى ملّته **"فإنهم قتلوا من أنكروا من ملّتنا أن يكون المسيح الها، وأحرقوا اللذين أقروا أنّ مكة بيت الله"**[1].

تجلّت صورة "الآخر" المسيحي في أنّه، الجشع الذي يأمر بكلْ ما يخرّب ويدمّر ويشتّت كيان "الأنا" المسلم. إذ اتّبع سياسة الحرق والقتل والتّعذيب بشتّى أنواعه، لكلّ من أنكر ملّتهم وتعاليم ديانتهم المسيحية. وكل من يقول أنّ المسيح ليس هو الإله. ويجهر بأنّ مكّة المكرّمة بيت الله؛ سيكون جزاؤه الحرق.

ويقول الرّاوي على لسان (باحيدة):" **في تلك الأثناء كان في الأندلس الآلاف ممن سمتهم الكنيسة موريسكين يلقون على يد شرطة دوواوين محاكم التفتيش التّنكيل والحرق والشّنق والنفي في السّفن للتجديف في المحيطات المظلمة تحيا في أجسامهم الحشرات وتفترسهم الجرذان البحرية التي كانت وحشية أشدّ فظاعة"**[2].

تتمثّل صورة "الآخر" المسيحي هنا؛ من خلال ممارستهم لشتّى أنواع التّعذيب والتّنكيل من ظلم وشنق، وحرق ونفي وطغيان. والتي طبّقته محاكم التّفتيش في حقّ المسلمين، اللّذين بقوْ في الأندلس تحت حكم المسيحيين بعد سقوط الحكم الإسلامي، وإجبارهم على اعتناق المسيحية بالقوّة والانسلاخ عن دينهم الإسلامي.

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص31.

2 **المصدر نفسه**، ص 41.

ويروي (باحيدة) (للبتول) قائلا: **"روى من سمع عن أحد أحفاد التلمساني بعض سيرته في ما لحق باليهود على يده أنّ أحد النّاجين من دواوين محاكم التّفتيش قال إن الفتى كان يرى نفسه في المنام مقمّطا في أثواب المسلمين الملّطخة "[1].**

كانت محاكم التّفتيش تعذّب المسلمين واليهود وتطردهم وتقتلهم، ففكّروا في الهروب إلى شمال إفريقيا إذ وصلوا للجزائر فانتشروا في المدن القريبة من "تلمسان" حتّى بلغوا "أرض توّات"، إلى أن أصبحت معظم "أرض توّات" يهود.

ممّا سبق يمكننا القول أنّ العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" قديمة، شائكة تحكمها تراكمات التّاريخ؛ وهي تراكمات في أغلبها متْخمة بالتّوتّر، والغضب، والسّوداوّية. إذْ كان "الآخر" يسعى طوال الوقت إلى إعطاء صورة الأفضلية لنفسه كونه "الآخر" الأصوب والأفضل، صاحب الحقّ في القيادة والسّيطرة على حساب "الأنا"؛ التي ينظر لها أنّها شعب همجي متخلّف يسعى لإزعاج وجوده، ولا يملك حقَّ القيادة لأنّه ليس أهل لذلك. وهذا التّفكير يدلّ على نرجسيته التي لاحدود لها.

بالرّغم من كلّ الظّلم والتجبُّر والطّغيان، الذي مارسه "الآخر" في حقّ "الأنا"، إلاّ أنّ موقفه كان سلبيّا في الرّواية؛ إذ نجده لم يقاوم ولم يتحدّ ولم يتصارع مع "الأنا"، بالرّغم من تعرّضه لكل أشكال وأنواع الاضطهاد والتّعذيب والاحتقار والاغتصاب والقتل، إلاّ أنّه لم يحرّك ساكنا وكان دائم الفرار والاختباء من "الآخر".

لكن وجدنا موقفا أردنا عرضه لكم، إذ فيه لم يتمكّن "الأنا" من تمالك نفسه ولا نظرته التي يكنّها لـ "الآخر"، فقد جاء على لسنا العجوز (بنت غزالة) واصفة فيها "الآخر" إذ أخبرت عن **"لغة أولئك الغازين الغريبة، وعن أصواتهم المفزعة وسلاحهم وملابسهم وأمتعتهم ودوابهم المنكرة**

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص31.

ومعيشتهم القذرة مع ذلك الحيوان البغيض الزاعق المجذوع الأنف المتمرغ في أزباله لايغار على أنثاه، وعن روائح أبدانهم الكريهة، وعن طعامهم بلحم الجيفة."[1]

يبيّن لنا هذا الوصف بوضوح، نظرة الاحتقار والاشمئزاز، التي يكنّها "الأنا" لـ "الآخر" إذ أنّ هذه المرّة لم تكن نظرته له كما جرت العادة؛ نظرة إنبهار أو دهشة، وإنّما كانت معاكسة تماما لكلّ التّوقّعات التي كنّا دائما نجدها.

وعليه فإنّ مستقبل العلاقة بين ثنائية "الأنا" و"الآخر"؛ لا يمكن أن تستقيم ولا حتّى تكون علاقة سويّة، إلاّ من خلال التّخلّص من ظاهرة التّنافر والاستعلاء والنّرجسيّة، والتي لا تنحلّ إلاّ من خلال التّسلّح بالنّزعة الإنسانية، والتّعايش السّلمي بينهما. لأنّ هذا الصّراع خلّف خسائر فادحة لاتحصى ولا تعدْ؛ سواء من النّاحية الماديّة أو المعنويّة.

فثنائيّة "الأنا" و"الآخر" شبيهة بثنائيات: الحياة والموت، الذّكورة والأنوثة، الصّواب والخطأ، الخير والشر. صعب جدّا التوفيق بينهما، أو أن يجتمعا كلاهما في آنٍ واحد. فالصّراع بينهما شبّ منذ الأزل واستمرّ إلى حدّ السّاعة؛ إذ تسبّب في آلاف الموتى، فهذا التّصادم هو مجرّد إهدار للوقت. فالأحسن الاعتناء بأمور تخدم المجتمع وتجعله أفضل ممّا عليه الآن. فالتّحلّي بالقيم الإنسانية والابتعاد عن سياسة التّهميش والهمجيّة، التي وبخاصّة يتّبعها "الآخر" في تعامله مع "الأنا" تجعل من حال الشّعوب أفضل.

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص184.

ب- علاقة تسامح:

على الرّغم من وجود الصّراع بين "الأنا" و"الآخر"؛ إلاّ أنّنا وجدنا مواقف عدّة أضفت التّسامح على هذه العلاقة.

وهذ الأنّ كلّ واحدة منهما تدرك أنّ وجود الآخر يعني وجودها، لأنّ "**نفي الآخر بتر للذات**"[1]؛ فهو بمثابة القيام بقطع جزء من تلك "الأنا"؛ حتّى لو كان هذا الجزء هو "**(الجزء الملعون) من الذات**"[2]؛ فبالرّغم من أنه عضو ضار ويسبّب الألم يبقى وجوده ضرورة، وزواله يخلّف أثرا بالغا في الذّات.

لهذا أصبح التّعايش بين كليهما ضرورة حتميّة، نتجت عن اشتراكهما في الأرض ذاتها والهدف ذاته؛ وهو العيش بسلام.

وقد صوّرت الرّواية هذه العلاقة؛ التي ملأها الحب والاحترام والتّسامح، في عدّة مواطن.

تتجسّد هذه العلاقة في (بنت هنْدل) ذات الأصول اليهوديّة؛ التي تمثّل "الآخر"، و (البتول) التي تمثِّل "الأنا" المسلم. فبينما يتبادلان الحديث قالت (بنت هندل) لـ (البتول): "**سيدتي تعرفني من أحفاد يهود لم يلطَّخ لهم بنان بدم مسلم.فجدتي كانت حدثني أن أهلي ممن عرفوا الله في هذه البلاد فرعوا للمسلمين حرمة وحفظ لهم المسلمون ذمة، فما أكرِهوا على عقيدة ولا هم بها جاوزوا حدود دينهم**"[3].

فهي من خلال كلامها هذا تؤكّد على أنّ؛ هناك فئة من اليهود لم يمسس بكرامةِ ولا حريّةِ "الأنا" المسلم.

1 الطّاهر لبيب، **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، ص22.

2 **المصدر نفسه**، ص.ن.

3 المصدر نفسه، ص30- 31.

كما قامت جدّتها بتوصيَـتها أن لا تنسى بأنّ من **"دفع عن أحد أجدادي سيف ثورة محمد التلمساني كان فقيها. فلولاه لانقطع لنا نسل وذكر. ونصحت لي أن أكون من شئت إلا أن أخون عقيدتي أو أغدر بمن استجارني. وأما السحر فإني لا أضر به أحدا"**[1].

جاءت صورة "الآخر" هنا مسالم مُحْتَرِمْ لـ "الأنا المسلم"، ومتعايش معه بالرُّغم من اختلاف الدّيانة، فمبدأ "الآخر" هنا ليس الصِّراع، وإنَّما التَّسامح والمشي على فكرة عدم خيانة من مدَّ له يد العَوْنِ والمساعدة؛ هذه الأخيرة التي قدّمها له "الأنا المسلم"، إذ وقف معه في وقت الشدّة ووقت الأزمات فبقي "الآخر" حافظا لهذا الجميل.

دار حوار بين (بليلو) المسلم و(جبريل) المسيحي، يبيّن علاقتهم التي يملأها الإحترام والتّفاهم والهدوء. وقد وصف لنا الكاتب هذا الحوار قائلا أنّه، بعدما جلس (بليلو) وشكر (جبريل) في خجلٍ واستحْياء.

باشر (جبريل) بالكلام قائلا" **(مثلك لا يبدو عليه عوزٌ. وفضل السيدة لايخفى.) فانفلت منه رسن اللياقة: (علي وعليك ياسيدي.) فابتسم جبريل: (تعرف ماذايدهشني فيك يابليلو؟ جراتك! ليتني عرفت مصدرها.)...فلاطفه: (وأنت ظريف أيضا، وهذه خصلة يمتاز بها الجيدون.)"**[2].

جاء هذا الحوار مليء بالتّقدير، والاحترام وجبر للخاطر. فكل منهما يكنّ للآخر المودّة؛ لهذا جاء هذا الحوار راقي ويبعث للنّفس السّكينة. فلا تحسّ في كلامهم هذا أنّ (بليلو) ينتمي إلى طبقة العبيد، ولا أنّ هناك فروقات طبقيّة واجتماعيّة بينهما.

وهذا مايسمّى بالرّقي والتّحضّر، فلا يجب التّعامل مع الشّخص على أساس المستوى الاجتماعي الذي ينتمي إليه، وإنّما على أساس أنّه إنسان.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص 30-31.

2 **المصدر نفسه**، ص135.

"نحن إذا صاحبنا كنا أوفياء فنفعل ذلك بعقل. وأنتم إذا صادقتم كنتم مخلصين فتفعلون بقلب"[1]. لخّصت هذه العبارة التي قالها (جبريل) الذي يمثّل "الآخر"لـ (مبروكة) التي تمثّل "الأنا" كلّ شيء.

فقد قالها واصفا فيها كِلاَهُمَا؛ إذْ أنَّ هذا الأخير إذا صاحب كان في قمّة الوفاء، محْكِمًا عقله في كلِّ الأمور. أمّا "الأنا" فإذا صادق كان جِدُّ مخلص في صداقته هذه، وتكون نابعة من قلبه.

إذ بيّنَتْ لنا هذه العبارة؛ إشتراك كلاهما في الوفاء والصِّدق والإخلاص. فكل منهما يكمِّل الآخر؛ لأن العقل دون قلب يأخذ إلى الأنانية، والقلب دون عقل يأخذ للتّهلكة.

نجد تعامل "الأنا" المسلم مع "الآخر" المسيحي؛ مليئة بصفاء النيّة والقلب، وممزوجة بكثير من الحبّ والألفة والرّفق. إذْ نجد أنّ أهل أدرار كانوا **"لا يكنون لجبريل عداء. ولا يذكرون أباه بسوء"**[2].

فعلى الرّغم من أنّ (جبريل) كان ينتمي لـ"الآخر" إلاّ أنّه قد حظي بحبّ أهل مدينة أدرار، فهم كانوا يتعاملون معه بالحُسْنى كأنّه فرد منهم إذ كانت تجمعه بهم علاقة رائعة؛ كلّها محبّة وتقدير واحترام لأنّهم لم يرو منه سوءا أبدا، وهو كذلك.

إذ لم يقوموا بمحاسبته على الجرائم التي ارتكبها أهله. كما أنّهم لم ينْعتوه أبدا بأيّ صفة من الصّفات التي نجدها في "الآخر" الغير مسالم. ولم يكن تعاملهم اللّطيف مع (جبريل) فقط.

وإنّما هناك شخص يدعى (يوسف) واسمه الحقيقي (جوزيف)؛ كان متقنٌ للغتهم بشكل جيّد ويقوم بمشاركتهم في الأكل، ودائما ما يقوم بإرشادهم بالنّصائح التي يكونون بحاجة لها، كما يساعدهم في تنظيف الفقّارات، وجني الثّمار إذ كان التّعامل المتبادل بينهما كاسر لحاجز الدّيانة والأصل والسيّد والمسود.

1 الحبيب السائح، **تلك المحبّة**، ص170 .

2 **المصدر نفسه**، ص 171.

أمّا زوجته فكانت "**أكثر منه ارتباطا بهم. عاشت لا تنفك تردد لهم أنها من الفرنسيين الأحرار.كان يبهجها أن تلبس ألبستهم في أيام أفراحهم. وأن تطلي الحناء. وتتسوك وتتكحل. حتى لتكاد تتشابه على كثير منهم، لولا بشرتها الشقراء. لكن بقي يحزنها، برغم توغلها إلى قلب كوانينهم، أنها لم تستطيع إقناعهم بأن في النصارى عروقا للشرف والنبل وفي رجال دينهم أولياء وصالحين، مثلهم.**"[1].

فزوجته بحكم أنّها تحبّهم، كانت تتجمّل كما يتجمّلن نسوة القرية. إذ تتسوّك وتقوم بوضع الحنّة وغيرها من التّصرّفات التي كانت تدلّ على إحساسها بالانتماء لهم.

يكنّ (جبريل) و(جوزيف) و(زوجته) كلّ الحبِّ والخير والوِدْ لـ "الأنا المسلم". ونفس المشاعر الطيّبَة يكنُّها المسلم لـ "الآخر المسيحي".

فالعلاقة التي تربطهم صحيح أنّها ليست علاقة دم، ولكنّها علاقة تعاون وتعايشٍ وتشارك في الأحزان والمسرّات. فهذه العلاقة جِدُّ قويّةٍ ووطيدة، ومتماسكة رغم اختلاف الأديان .

مثّلت أيضا شخصيّة (القوّال) "الأنا" في الرّواية؛ إذ إحتكّ بـ "الآخر" من خلال الرّجُل اليهودي، الذي طلب منه أن يقضي له حاجته وقام بالثّناء عليه. قائلا: "(**سيدي ابن سيدي، أنا في حماك وحاجتي إليك من المأمول. أطلب أن تستذل لي جناح أبويها حتى لا يعسر علي الانتقال لأدفن هناك ... برب موسى ومحمد أتشفّعك.) قال القوال: (خفف عنك ذلك بالشهادة) فركع اليهودي عند قدميه: (آبائي من أشراف أحفاد أنبياء. وأنا من الموحدين. أموت على دين موسى ودينهم.)**"[2].

نلاحظ هنا أنّ الرّجل اليهودي جاء ليستنجد من(القوّال) بطلب حاجة منه؛ وهنا طلب من "الآخر" اليهودي الدّخول في دين الإسلام عن طريق نطقه للشّهادة، وذلك للتّخفيف عنه والارتياح

1 الحبيب السّائح، **تلك المحبّة**، ص 171 .

2 المصدر نفسه، ص296.

من همّه ليطمئنّ قلبه ويرتاح. فإنصاع لأمره وأسلم دون تردّد فنتج عن هذا الحوار، مغفرة وتسامح ورضا.

إذن نستخلص أنّ التّسامح من مكارم الأخلاق، فهو من أسمى الصّفات التي يمكنْ أن يتحلّى بها العبد؛ لأنّها من صفات الأنبياء والرُّسل. فالعفو والتّسامح يجعلان الإنسان يعيش في سلام داخلي قبل أن يكون هذا السّلام خارجيًا. لأنّه يساهم في تحسين المجتمع. وتعْدِيلِ سُلوكِ النّاس، فالحياة دون تسامحٍ تكون جافّة جدًّا، مليئة بالمعارك والصّراعات التي تَهُدُّ ولا تَبْنِي. فالتّسامح قوّة لايقدِرُ عليها سوى الأسْوِياء، والمخلصين والمتصالحين مع أنفسهم.

ممّا سبق يمكننا القول؛ أنَّ الانتقام أو التسامح، والصّراع أو العفو؛ هما من المتضادّات التي لا يمكن التَّعايش مع كليهما. فإذا وُجِد التَّسامح والعفو فلا مكان للصِّراع والانتقام.

وهذا ماوجدناه في هذه الرّواية؛ إذ عرضنا لكم فئات من "الأنا" و"الآخر" دعتا إلى التّسامح والعفو، إذ قامتا ببناء علاقةٍ أساسها الحب والاحترام. وفئات أخرى من كلاهما دعتا إلى الكره والحقد، فكان الصّراع حليفهما. وهذا راجع إلى تفكير كل فئة، المختلف عن الأخرى .

لكن يبقى التّسامح رمزا للسّلام، ويبقى الصّراع رمزا للاضطراب. فهذه العلاقة قد شكّلت "**مع الآخر تحدّيًا كبيرًا للذات، فقد حظيت تلك القضيَّة باهتمام بالغٍ من الـمُفكِّرين والأدباء العرب... حاولت الذات التعامل معها بواسطة مرجعيَّاتٍ ثقافيَّةٍ وفكريَّةٍ وتقاليدَ أدبيَّة مختلفةٍ، كان للخطاب الروائي الجرأة الأكبر في التعبير عنها**"[1]؛ فالعلاقة بين كليهما سواء أكانت علاقة صراع أو تسامح، فإنَّها شغلت الأدباء ككلّ وحظيت بالاهتمام الكبير منهم.

1إبراهيم خليل الشّبلي، **الذات والآخر في الرّواية السّوريّة**، ص21.

خاتمــة

ختاما وبعد دراستنا لإشكالية "الأنا" و"الآخر" في رواية "تلك المَحَبَّة" لـ"الحبيب السّائح" نستخلص مجموعة من النّتائج نوجزها فيما يأتي:

- ✓ تعدّدت الآراء والأفكار حول تحديد مفهوم موحّد لـ"الأنا" و"الآخر"، كُلٌّ عرّفه حسب منظوره.
- ✓ إنّ مصطلحي "الأنا" و"الآخر" هما من المفاهيم الشّائكة نظرا لاختلاف وتفاوت مفهومهما؛ فقد شكّلتا أهم القضايا التي عالجتها العلوم الإنسانية.
- ✓ نتجت جدلية العلاقة بين "الأنا" و"الآخر" في الرّواية بسبب الاختلاف الدّيني والعقائدي والفكري بين المجتمعات.
- ✓ تباينت علاقة "الأنا" و"الآخر" في الرّواية بين صراع وتسامح إلاّ أنّ الصّراع كان هو الغالب.
- ✓ صوّرت رواية "تلك المحبّة" لـ "الحبيب السّائح" "الأنا" بصورة سلبية لأنه مغلوب على أمره منصاع للآخر، أمّا هذا الأخير فجاء متسلطا وطاغ ومتجبر.
- ✓ مسألة "الأنا" و"الآخر" مسألة حسّاسة إذ ظلّ سؤال العلاقة التي تجمع الطّرفين مطروحا على مرّ العصور فتباينت العلاقة بينهما، ما بين تسامح حينا وصراعا حينا آخر، ولكن في النّهاية هما وجهان لعملة واحدة، ولا وجود لأحدهما دون الآخر.
- ✓ كان للرّاوي في هذه الرّواية نظرة عميقة في تحديد صورة "الأنا" و"الآخر" بشكل متوازن ومحايد.
- ✓ جسّدت رواية "تلك المحبّة" "الأنا" عامّة بالذات الجزائريّة، و"الآخر" بالغربي المسيحي واليهودي والفرنسي.
- ✓ الجديد الذي جاءت به هذه الرّواية؛ أنّها لم تجعل من "الأنا" كعادته منبهرا بـ "الآخر"، وإنّما جعلته في أغلب المواقف حاملا إتّجاهه نظرة إحتقار وإشمئزاز.

وفي الأخير يكفينا أن يكون هذا البحث قد نجح على الأقل في إثارة الموضوع بطرحه أسئلة في ميدان "الأنا" و"الآخر" ليكون امتدادا لبحوث أخرى، ويفتح الباب أمام أبحاث جديدة ومفيدة.

الملحق

أوّلا– ملخّص الرّواية:

صدرت رواية "**تلك المَحَبّة**" عام 2002م، تتكون من سبعة عشر فصلا. جاءت الفصول في ثنائيات جميلة، تزاوجت فيها المغامرة والشّوق والإشباع بلغة ممتنعة مرنة أسطورية، وكأنّك حين تقرأ تمرّ في دهاليز" ألف ليلة وليلة".

كان العنوان سيّد المقام "**تلك المَحَبّة**" الذي جمع كلّ شيء؛ مركز الكون وتيه الإنسان، وبحثه الدّائم عن توازن وسكينة تكفيه عناء الإرتباك والقلق. وقد إعتمد الكاتب عبر كلّ محطّات الرّواية على تقنية السّرد التي جعلت النّص حيّا ومنتعشا. فالسّارد بدأ النّص بضمير المتكلم القائم على المكان والزّمان، ثم لم يكد يستقر على الطّريق حتىّ لبس ثوب الغائب والمخاطب بمرونة وموسيقى اختفت وراءها الضّمائر .

أمّا تقنية الإسترجاع أو الإستذكار بلغة ساحرة ومثيرة، فنجد الكاتب قد عرج بها على الحروب التّاريخية والدّينية، وأشار إلى الإنتقامية التي تولّدت عنها. كما إستعمل "الفلاش باك" في ربط مراحل مهمة من حياة الرّواية، بشكل مرن وجميل بعبارات دقيقة ومدروسة.فأحداث الرّواية دارت في حيّز غلب عليه الإستقرار، على الرّغم من أنّ معظمها كانت في أرض "**توّات**"؛ لكن ذلك لم يمنع من الإنتقال إلى أماكن مختلفة من ربوع الجزائر "تيديكلت، قورارة، توّات، تمنراست، المنيعة، الأغواط ..."

إعتمد "الحبيب السّائح" دور السّارد على لسان الطّالب "باحيدة" الذي روى لـ"البتول" عن محاكم التّفتيش المسيحية؛ التي كانت تطارد وتقتل اليهود والمسلمين في الأندلس، حتى قاموا بالفرار إلى شمال إفريقيا؛ إذ إستوطنوا "تلمسان"، ومنها إنتشروا إلى باقي المدن الأخرى بخاصة "تمنطيط". التي صوّر لنا فيها علاقة التّسامح التي جمعت بين العرق اليهودي أو "الموسوي" والعرق الإسلامي أو "المحمديين". كما لم ينس أهل الذمّة وكيف كانوا يتأذّون من دفع الجزية، وكيف كانوا يردّون بطريقتهم نكاية وإنتقاما كقصّة اليهودي الذي كان يؤمّ النّاس وهو جُنُبْ .

تناول أيضا الكاتب عبر السّرد قصّة "بليلو"؛ الذي تمّ طرده من مدرسته في "بشّار" وعاد إلى "توات"؛ بعد شجاره مع أحد الفرنسيّين بالرّغم من أنّه لم يكن هو المذنب. وقد كان يجالس الأسياد ويتقاسم معهم أسرارهم وهذا تحت تأثير الحشيش؛ الذي كان يحضره كي يغذّي أحلامهم به. إذ أنّ

"بليلو" كان دائما يتذكّر السيّد الذي نُسب إليه، والذي كان يضاجع أمّه وقتما يحلوا له. وفي هذا إشارة لوصف القمع الذي كانت تفرضه علاقة السيّد بالمسود. كما نجد الرّوائي ذكر لنا غيرة النّسوة من السيّدة "البتول"، إذ صوّر لنا مفاتنها وجمالها الذي جعل "بنت كلّو" تحقد عليها، وتحاول التّخطيط لمكائد لإيقاعها.

صوّر لنا أيضا رحلة "بليلو" في بحثه عن حبيبته "ماريا"؛ إذ لم يترك لا "بوسعادة" ولا "الأغواط" ولا "المنيعة"، متحديّا كل شئ. بحيث لم يتمكّن أي رجل دين إيقافه رغم إختلاف ديانة كلاهما. فكان سلاحه في كلّ هذه الرّحلة، الحب الذي وبمنظوره لا يعترف بأيّ معتقد.

قدّم لنا الرّوائي كذلك قصّة الحب التي جمعت بين كل من "مبروكة" و"جبريل"، كما قام بتصوير كل شخصية بدينها. فقد وصف صليب "جبريل" من خشب، وهلال "مبروكة" من نار يأكل هذا الصّليب. إذ قامت "مبروكة" بمواجهة "جبريل" بماضيه بعد إكتشافها أنّه كان جنديّا؛ وهذا بعدما قامت بقراءة مذكّراته التي كان يخفيها عنها كلّما رآها. ومن خلالها إكتشفت الجرائم الشّنيعة التي قام بها؛ من قتل ونهب وتنكيل.

الحب الفاشل كان له نصيب وافر في هذه الرواية. فليس فقط "جبريل" و"مبروكة" من لم تنجح العلاقة العاطفية التي جمعت بينهما ولا "البتول" و"مكحول" الذي أُغتيل لأنّه يحمل معلومات مهمّة. فكذلك "باحيدة" المسلم و"جولييت" المسيحيّة أخت "جبريل" اللّذان وقعا في الخطيئة وكان مصيرهم كمصير من سبقهم.

ف"جولييت" التي جاءت بحثا عن الأب "فوكو" والتي عدّته فارس أحلامها، وقعت في حبّ مدرّس القرآن الطّالب "باحيدة" فالنّص تعرّض للتراجيديا التي يحدثها صدام الحبّ مع الدّين وممارسة الخطيئة.

شهدت الأحداث دخول "القوال" الذي غلب قوّة العرّافين في كشف الأسرار والتنبّأ بالمستقبل، إذ أخذ يكشف كل مستور من قتل "مكحول"و "سليمان"و "الزّهرة". وسبب موت الفتيات ليلة دخلتهنّ، وغيرها من الأسرار.

كانت اللّغة في رواية " **تلك المَحَبَّة**" مِعطاءة وغزيرة، غنيّة بالصّور المختلفة والتّشبيهات الجميلة. إذ أظهرت جمال الصّحراء والرّمال والنّخيل. كما سلّطت الضّوء على التّاريخ المنسي للجزائر.

ثانيا– التّعريف بالرّوائي:

ولد الكاتب والرّوائي "الحبيب السّائح" في ولاية "معسكر،" تحديدا في منطقة "سيدي عيسى" في الجزائر، عام 24 أفريل 1950م. عاش ونشأ في مدينة "سعيدة". درس في جامعة "وهران"وتخرّج منها بشهادة "البكالوريوس في الآداب". بعد تخرّجه عمل مدرّساً في المعاهد التكنولوجية للتّربية، ثمّ ساهم في الصِّحافة العربية والجزائرية. وعمل أستاذ مشارك في جامعة التّكوين المتواصل، وفي معهد اللّغة الفرنسية في مركز "سعيدة" الجامعي. وفي عام 1994م غادر الجزائر متّجها إلى "تونس" أقام فيها لمدّة نصف عام قبل أن يتّجه إلى المغرب ويستقرّ بها. ولكنّه بعد سنوات عاد إلى الجزائر ليتفرّغ إلى الإبداع القصصي والرّوائي.

*/ أعماله:

– من إبداعاته الأدبية القصصيّة والرّوائيّة نذكر:

أ– المجموعة القصصيّة:

- القرار 1979م.
- الصّعود نحو الأسفل 1981م.
- البهيّة تتزيّن لجلاّدها 2000م.
- الموت بالّتقسيط 2003م.

ب– الرّوايات:

- زمن النّمرود 1985م.
- تلك المحبّة 2002م.
- مذنبون.. لون دمهم في دمي 2009م.
- زهوة 2009م.
- الموت في وهران 2013م.

- كولونيل الزبربر 2015م.
- تماسخت 2017م.
- من قتل أسعد المروري 2017م.
- أنا وحاييم 2018م.
- مارواه الرّئيس 2020م.

ج- جوائزه وترشيحاته:

- جائزة الرّواية من ملتقى "عبد الحميد بن هدوقة" بالجزائر 2003م.
- وصلت روايته "أنا وحاييم" إلى القائمة الطّويلة للجائزة العالمية للرّواية العربية- البوكر 2019م.
- فاز بجائزة كتارا للرّواية العربية عن روايته "أنا وحاييم" عن فئة الرّوايات المنشورة في عام 2019م.[1]

1 ينظر: الموقع: ar.wikipedia.org/wiki/الحبيب _ السائح، تاريخ الزيارة: 14جوان 2023، على الساعة 03:38.

قائمة المصادر

والمراجع

أوّلا/ المصادر:

- الحبيب السّائح: تلك المَحَبَّة، دار فضاءات للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ط1، 2002.

ثانيا/ المراجع:

أ. المراجع باللّغة العربيّة:

- حسن شحاتة: الذّات والآخر في الشّرق والغرب – صورة ودلالات وإشكالات– دار العالم العربي، القاهرة، ط1، 2007.
- رضوان جنيدي: جماليات الأنا في الشّعر المغاربي القديم، دار الأيّام، عمّان، ط1، 2005.
- سعد البازغي، ميجان الرويلي: دليل النّاقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي، المغرب، ط3، 2002.
- سعد فهد الذّويخ عيطان: صورة الآخر في الشّعر العربي– من العصر الأموي حتّى نهاية العصر العبّاسي–، عالم الكتب الحديث، اربد، ط1، 2009.
- سمير الخليل: دليل مصطلحات الدّراسات الثّقافيّة والنّقد الثّقافي – إضاءة توضيحيّة للمفاهيم الثّقافية المتداولة–، دار الكتب العلميّة، لبنان، 1971.
- الطّاهر لبيب: صورة الآخر العربي ناظرا ومنظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربيّة، لبنان، ط1، 1999.
- عمرو عبد العلي علّام: الأنا والآخر (الشّخصيّة العربيّة والشّخصيّة الإسرائيلية في الفكر الإسرائيلي)، دار العلوم للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2005.
- كامل فؤاد: الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف بمصر، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).
- محمّد نور الدّين أفاية: الغرب في المتخيّل العربي، منشورات دائرة الثّقافة والإعلام، الشّارقة، ط1، 1996.

- محمود رجب: فلسفة المرأة، دار المعارف، مصر، ط1، 1994.
- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، باب الغين، دار قباء الحديثة، مصر، ط5، 2007.
- مصطفى خلف عبد الجواد: قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مطبوعات مركز البحوث والدّراسات الاجتماعية، القاهرة، (د،ط)، 2002.

ب. المراجع المترجمة:

- سيغموند فرويد: الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشّروق، مصر، ط4، 1982.

ثالثا/ المعاجم:

- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبيّة، التعاضديّة العماليّة للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1986.
- إبراهيم مصطفى وآخرون: معجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، مكتبة الشّروق الدّوليّة، مصر، ط4، 2008.
- بطرس البستاني: محيط المحيط، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2009.
- جبور عبد النّور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، 1979.
- جلال الدّين سعيد: معجم المصطلحات والشّواهد الفلسفيّة، دار الجنوب، تونس، 2004.
- جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربيّة والفرنسيّة والانجليزيّة، دار الكتاب اللبناني، (د، ط)، 1982.
- فرج عبد القادر طه وآخرون: معجم علم النّفس والتّحليل النّفسي، دار النّهضة العربيّة، لبنان، ط8، 2000.

- لويس معلوف:المنجد في اللّغة العربيّة، دار المشرق والمكتبة الشّرقيّة، بيروت، (د، ط)، 2009.
- محمد التّوجني: المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط2، 1999.
- ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2، 2013.

رابعا/ الرّسالات والأطروحات:

- سارة بولحبال و كريمة شحماط: الأنا والآخر في رواية تلك المحبّة للحبيب السّائح، مذكرة ماستر، تخصّص أدب جزائري، جامعة جيجل، 2021/2020.
- منى لبي ووريدة منصوري: الأنا والآخر وسؤال الهويّة في رواية تواشيح الورد لمنى بشلم، مذكّرة ماستر، تخصّص أدب حديث ومعاصر، جامعة الوادي، 2022/2021.

خامسا/ المواقع الإلكترونيّة:

- الموقع: ar.wikipedia.org/wiki/الحبيب _ السائح، تاريخ الزيارة: 14جوان 2023، على الساعة 03:38.

فهرس

الموضوعات

المحتوى	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدّمة	أ – د
مدخل: مفاهيم ومصطلحات عامّة	6-20
تمهيد	6- 7
أوّلا: مفهوم الأنا	8- 13
1– الأنا وضعا	8
2– الأنا اصطلاحا	8- 13
أ– من المنظور الفلسفي	9- 10
ب– من المنظور النّفسي	10- 11
ج– من المنظور الاجتماعي	11- 12
د– من المنظور الأدبي الفنّي	12- 13
ثانيا: مفهوم الآخر	13- 19
1– الآخر وضعا	13- 14
2– الآخر اصطلاحا	14- 20
أ– من المنظور الثّقافي	15- 16
ب– من المنظور الفلسفي	16- 18
ج– من المنظور الاجتماعي	18- 19
د– من منظور الفكر العربي	19- 20
الفصل الأوّل: تجليات الأنا والآخر في الرّواية	
أوّلا: تجلّيات الأنا في الرّواية	21- 32
أ– الأنا الصوفي	22- 24

ب– الأنا الصّحراوي	25- 27
ج– الأنا العاشقة للوطن	27- 30
د– الأنا المسلم المسالم	30- 33
ثانيا: تجلّيات الآخر في الرّواية	33- 44
أ– الآخر المسيحي	34- 36
ب– الآخر اليهودي	36- 39
ج– الآخر الفرنسي	39- 44
الفصل الثّاني: العلاقة بين الأنا و الآخر في الرّواية	
تمهيد	46
أ– علاقة صراع	47- 54
ب– علاقة تسامح	55- 59
خاتمة الفصل	60
الملحق	
أوّلا: ملخّص الرّواية	64- 65
ثانيا: التّعريف بالرّوائي	66- 67
قائمة المصادر والمراجع	69- 71
فهرس الموضوعات	I
ملخّص المذكّرة	

الملخّص

ملخّص:

"الأنا" و"الآخر" من القضايا التي فرضت نفسها على السّاحة الأدبيّة والفكريّة، والفلسفيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة.

إنّ إشكاليّة "الأنا" و"الآخر" من القضايا الشّائكة التي تناولتها الرّواية العربيّة المعاصرة. بخاصّة الجزائرية. وقد جاءت الرّواية، والتي هي من أكثر الفنون الأدبيّة الحديثة المؤهّلة، للتّعبير عن مثل هذه القضايا المتعلّقة في صراعها الدّائم من أجل الاستمرار ومقاومة الذّوبان والتّماهي.

إذ قرّرنا إختيار رواية "تلك المحبّة" لـ "الحبيب السّائح "؛ من أجل إبراز طبيعة العلاقة بين طرفي هذه الثّنائيّة، في مجتمع عربي محافظ تجسّده شخصيات متعدّدة: الأنا الصّوفي، الأنا الصّحراوي، الأنا العاشق للوطن. وشخصيّة الآخر اليهودي والمسيحي والفرنسي.

كما صوّرت الرّواية الواقع الحي الذي عاشه "الأنا المسلم"، الذي تعرض للاضطهاد والقتل والتهجير ...، كما سلّطت الضّوء على علاقة الصّراع والتّسامح التي جمعت بين "الأنا" المسلم و"الآخر" المسيحي واليهودي والفرنسي.

الكلمات المفتاحيّة:

- الأنا، الآخر، علاقة، صراع، تسامح.

Abstract :

The "The Ego" and "The Other" are among the issues that have imposed themselves on the literary, intellectual, philosophical, psychological and social arena.

The problem of the "The Ego" and "The Other" is one of the thorny issues dealt with in the contemporary Arabic novel. Especially the Algerian. The novel, which is one of the most qualified modern literary arts, came to express such issues related to its constant struggle for continuity and resistance to dissolution and identification.

We decided to choose the novel "That Love" by "Al-Habib Al-Sayeh" in order to highlight the nature of the relationship between the two sides of this dichotomy in a conservative Arab society embodied by multiple personalities: the Sufi ego, the Sahrawi, the lover of the homeland and the personality of the other, the Jew, the Christian and the French.

The novel also portrayed the living reality experienced by the Muslim ego, which was subjected to persecution, killing and displacement... It also shed light on the relationship between the Muslim ego and the Christian, Jewish and French ego.

Keywords:

- Ego, Other, relationship, conflict, tolerance.